صحفهم التي يثقون بها بلا مناقشة ، تسرق قلوبهم الدعاية الاسرائيلية التي تسرح وتمرح . . .

بالمناسبة ، غادرت لندن وصديقي الليبي البطل ما يزال في السجن من اجل كلمة صادقة قالها . . . اذا كنا في بلادي نغتال الكلمة الحرة ونخشاها ، كيف ننتظر منها ان تكبر ذات يوم بما فيه الكفاية لتكتسح العالم . . وتمنح ادبا عالميا يخلد ؟ وحتام تحاول السلطات الحاكمة « تدجين » الاديب ؟ .

ورغم زحام الغضب والمرارة ، ويقظة الحس العدائي ، ظللت اعي بوضوح مرير تقصيرنا ولا اجد في كل ما يدور عذرا له . . اذ اننا حتى حينما نمنح الفرص نضيعها . شهدت مثلا مناظرة تلفزيونية تلخص بوضوح حكاية الدعاية العربية والدعاية الاسرائيلية وكيف نضيع الفرص .

فقد جاء المذيع باستاذ جامعي فلسطيني الاصل يدرس في جامعات لندن كممثل لوجهة النظر العربية ، وبآخر صهيوني كممثل لوجهة النظر الاسرائيلية . . . وطرحت قضية فلسطين و « اسرائيل » على بساط البحث . . . وبدأ كل منهما يدافع عن وجهة نظره . . .

وكانت مفاجأة مذهلة ، لا للمشاهدين فقط ، بل وحتى للمذيع ، ان الصهيوني قد اصطحب معه ارشيفا كاملا من الاجوبة المعدة مسبقا ، والاحصاءات والاستشهادات ، وانه كان لا يجيب قبل ان يقلب اوراقه ويقرأ منها ويستفيد ما امكن من ـ وقت المناظرة ـ نصف ساعة دعاية مجانية لاسرائيل يمكنه استغلالها ، بينما كان الاستاذ الفلسطيني العربي يرد مباشرة بحزن وعصبية وكانت عاطفته تغلف افكاره بشرنقة من الغموض بينما كان ابداع الصهيوني في تزييف الحقائق مذهلا . .

وبدأت اعصابنا تتوتر ونحن نرقب نموذجا لما يدور في اوروبا كلها ، وفجأة ، التمعت عينا الاستاذ الفلسطيني وانفجر قائلا : بالضبط . . . ما يدور الآن هو بالضبط ما يدور بيننا وبينكم . . . طلبوا منا المجيء الى مناظرة تلفزيونية بصفتنا استاذين جامعيين ، فجئت ببساطة حاملاً صدقي ، وجئت انت ومعك عشرات من الارشيفات ، جئت انا انسانا وحيدا حرم من وطنه ، وجئت انت موظفا لدى دائرة اعلامك .

كان ذلك صحيحا ، لكنه لم يكن يكفي للرد . . والمهم ان الاستاذ الصهيوني قرأ كل ما عنده ، واستفاد من نصف ساعة دعاية مجانية رغم ضيق المذيع به ومقاطعته له (فيما بعد ، شككت حتى في صدق المذيع . . . ربما كانت كلها مسرحية لصالح « اسرائيل » من

Akhawia.net

اخراجه بالاتفاق مع الاستاذ الصهيوني) .

مرفوض كيهودي مدعوم كاسرائيلي

وكانت الاشهر التالية لا تحمل الا سلسلة لاحداث مشابهة بطريقة او باخرى . . ولو لم اكن هناك ، اشاهد تقصيرنا ، لسقطت فريسة الرأي القائل بانه لا جدوى على الاطلاق من محاولة القيام بدعاية عربية في اوروبا ، لانهم لن يفهموا وجهة نظرنا حتى ولو سمعوها . . ولانهم لو فهموا سيتظاهرون بعدم الفهم لان مصالحهم تفرض عليهم ذلك . . ولان (المصالح) هي ما يتحكم في سياستهم . . « واسرائيل » كأداة استعمارية تتفق مع دول استعمارية الماضي والمطامح . . . وكنت اجد في ذلك تفسيرا لبعض المظاهر التي طالما حيرتني . . .

فاليهودي مثلا كيهودي ، مضطهد في اوروبا بصورة عامة ، وهو امر معروف . . . وفي لندن يمنع دخول اليهود الى عدد كبير من النوادي ، ولا يسمح بدخول اكثر من نسبة معينة منهم في مدرسة واحدة ، كما انهم مادة خصبة للنكات والاضطهاد الاجتماعي . . اليهودي مرفوض كيهودي ، مقبول كاسرائيلي ، ربما لانه كيهودي يشاركهم اللقمة ، وكاسرائيلي يصبح عميلا لديهم لسرقة (لقمة) الشعوب العربية . . وهم يغطون ذلك الموقف بعقدة الاحساس بالذنب ! ويعوضون على اليهود ولكن على حسابنا . . .

فاليهود في بلادنا العربية ، في دمشق ، في بيروت ، في القاهرة ، في كل مدينة عربية عشت فيها ، كانوا يلقون دوما اطيب معاملة ، كانت لهم حقوق المواطنين وواجباتهم وكان ذلك وحده مقياس الحكم عليهم . . . كان الشعب العربي هو الشعب الوحيد الذي لم يضطهد اليهود ، وهو اليوم يدفع ثمن اضطهاد اوروبا لهم وضيقها بهم واحتمائها من حقيقة موقفها بمظهر المكفِّر عن ذنبه ! . .

ولكن ذلك كله لا يكفي سببا لاستسلامنا امام امعان اليهود في طمس الحقيقة التاريخية وخلق اسطورة « اسرائيل » ، فمسؤ وليتنا لا تقتصر على هذا العصر ، ومن واجبنا المحافظة على الحقيقة وتسليمها كاملة للاجيال المقبلة ، هنا وهناك . . . ومهما قلنا لا نستطيع ان ننفي مدى تقصيرنا في هذاالمجال . . . افرادا وحكومات .انهم يفوقوننا (بتماسكهم على الخطأ) وينتصرون بذلك على (تفككنا على الصواب) . نحن نملك (اليقين) وهم يملكون (الاداة) . .

تجربة جس نبض ناجحة

وربما كانت تجربة عبد الحليم حافظ الاخيرة وفرقة رضا وفرقة الرقص الشعبي

Akhawia.net

الاردنية اكبر برهان على ان امكانية العمل موجودة لو اردنا ، واحتمالات النجاح كبيرة . . .

ففي اواخر الشهر الماضي ، اقامت جمعية مساعدة اللاجئين العرب ونشر الثقافة العربية حفلا عربيا في (الرويال البرت هول) وهو المسرح الاول في لندن الذي طالما سمع فيه الجمهور الاوروبي اروع السيمفونيات العالمية واشهر الفرق العازفة . . . والقاعة تتسع لحوالى ثلاثة آلاف متفرج . . . اشرفت على تنظيم الحفل السيدة دينا عبد الحميد وقامت بالاتصالات اللازمة كلها لتدبيره ، وهو بلا شك جهد كبير وناجح . . . فقد بيعت البطاقات كلها قبل موعد الحفل باسبوع ولم يقتصر الامر هذه المرة على العرب ومعارفهم وانما تعداه الى الانكليز المداومين على حضور (كونسيرات) الرويال البرت هول ، والى قارئي (التايمز) حيث تنشر البرامج المسرحية ، وكانت هذه في نظري من المرات القليلة التي اتسعت فيها دائرة النشاط العربي وتعدت (وهم العمل) الى عمل جيد وضروري . . .

كان الحفل ناجحا بمعاني الكلمة رغم ان جمهورنا العربي كالعادة يقرن الطرب بالشغب . . . انصت الناس الى احمد فؤاد حسن يعزف على القانون ، الآلة العربية الموسيقية الرائعة . . وصفق الجميع لالحان بليغ حمدي وبدت على الانكليز اعراض العدوى باسلوب العرب في الطرب اذ بدأت عدوى التصفيق تتسرب الى انصاتهم التقليدي البارد . . . وهز صوت عبد الحليم حافظ العرب هناك ، هز ذكرياتهم وشوقهم لبلادهم حتى الفوضى . . . رقصوا بين المقاعد الامر الذي لم تشهد له صالة الرويال البرت هول مثيلا من قبل . .

رقصوا بجنون . هتفوا . صرخوا . بكوا . كانوا بذلك كله يعبرون عن طاقات عاطفية وطنية مكبوتة ومهدورة لم تجد بعد التنظيم الذي يستوعب ويخطط ويسيطر على رغباتها ويحيل عاطفتها الهوجاء الى عمل فعال ، وبالتالي يصرف كبتها السياسي والوطني الى دروب البناء الخلاق ، بدلا من التصفيق والرقص والآهات والفوضى .

فرقة رضا كانت رائعة في رقصاتها النوبية ، عادية واقل من عادية في رقص الحريم وهز البطن الذي قدمته (يعسوبتان) هزيلتان لا هما بالدودة ولا الفراشة . . . يجب ان نتخلص من عقدة ان من واجبنا تقديم هز البطن للمتفرج الاوروبي . فرقة الدبكة الاردنية كانت ناجحة جدا بوجه عام .

والمهم انها كانت تجربة ناجحة ، وان صداها كان جيدا ، وقد حضرها عدد كبير من

Akhawia.net

المسؤ ولين البريطانيين وسمعوا صوتا من اصوات ارضنا ينطلق من بين شفتي (القانون) وعبد الحليم بصوته الحزين ينشد اغنية (القدس) . . .

وكان اطرف ما في الحفل ، هو وفد جماعة الهيبيز الذين تقاطروا على عبد الحليم مهنئين ومبايعين !!

وقد رافق هذه التجربة (اسبوع عربي) ناجح اقامته الجمعية ايضا لبيع التحف والمصنوعات والمنسوجات العربية لصالح اللاجئين اهم ما فيه بيع كتب نجيب محفوظ المترجمة الى الانكليزية ، وبيع لوحات يوسف فرنسيس الفنان المصري المعروف لصالح اللاجئين . . . وكان اطرف ما في المعرض فكرة يوسف فرنسيس التي نفذت فورا : رسم اسكتشات لزائري المعرض تباع لصالح اللاجئين . .

هذا كله كان في نظري كوة اولى نفتحها ليشهد العالم من خلالها شيئاً عنا ، ولو في دائرة ضيقة بالنسبة للمساحة الدعائية التي تغطيها دعاية « اسرائيل » وبصراحة ذلك كله جيد كبداية ، ولكنه لا يكفي . . قيمته في انه من الخطوات الاولى ، واهميته الاولى انه (جس نبض) للغرب يثبت امكانية وقوفنا بوجه الدعاية الصهيونية لو اردنا ، وعملنا . .

ان تصفيق الناس هناك للحن (القدس) لا يعني اعفاء موسيقيينا العرب من مسؤ ولية انتاج سيمفونية لمأساة شعب فلسطين كسيمفونية (إكسودس) الرائعة ـ للأسف ـ والتي من المفروض انها تصور قصة « اسرائيل » ـ سفر الخروج في التوراة .

والمهم الا نثمل كعادتنا بهذا النصر المبدئي الصغير ، وننفخه حتى يغطي اعيننا ويحجب عنها الطريق الطويل وعشرات الخطى الاخرى التي لا مفر من اتخاذها في ميدان الحرب الدعائية تلك . . . واننا ربحنا جولة ليلة ، ولديهم في كل ليلة جولة ، ودعايتهم الصهيونية تغطي كل مجال .

أجراس التنبيه ضد السرقات

وبعد ، غادرت الرويال البرت هول تلك الليلة مع بعض الاصدقاء العرب ، وكنا جميعا نشتعل حماسا لقضايانا . سرنا في دروب لندن الحزينة الباردة وصمتنا جميعاً فجأة كما لو كان كل منا يخطط : من اين نبدأ ؟ كيف ؟ . .

وكنت انظر الى الاشياء ولا اراها . . . ولا ادري لماذا علقت نظراتي فجأة بدار فخمة من تلك الدور التي تحيط (بالرويال البرت هول) . . . على الباب علق جهاز اسود كتب عليه بحروف استطعت قراءتها في ضوء المصباح الشاحب : جرس تنبيه ضد السرقات .

Akhawia.net

وفجأة عادت فلسطين تحتل عيني دارا دارا . . بابا بابا . . . لو علق العرب ، جميع العرب على ابواب دورهم اجراسا كهذا الجرس ، في فلسطين ، وعدن ، ومصر ، والسودان ، وسوريا ، ولبنان، والاردن ، في كل قطر ، ترى هل كانت تلك الاجراس تكف لحظة عن القرع منذ قرون ؟ . .

كيف نقول للعالم ذلك ، وكيف نسمعهم قرع تلك الاجراس التي لم تكف عن الرنين منذ قرون ؟ . . لمن تقرع اجراسنا منذ قرون ؟

Akhawia.net

لندن ٢٢/ ١٢/ ٦٧

لا حب في لندن

انوار الصالة شبه مطفأة . الضوء الوحيد احمر مفترس ومسلط على جسد امرأة تتعرى فوق المسرح ببطء افعواني رشيق . الموسيقى يتسارع نبضها وعيون الرجال تزداد اتساعا ، ثم يستحيلون جميعا الى عين واحدة كبيرة حمراء جائعة ، حيوانية وبلا اهداب ، مفغورة باتجاه المسرح ، بينما تخلع حواء ورقة التوت الاخيرة . العربي الجالس الى جواري انتهى من أكل آخر أظافره . دقت الطبول .

ولكزني اخي وهو يقول بدهشة : انظري . .

وكان يشير الى شاب انكليزي اشقر جالس في المقاعد الامامية وقد راح في نوم عميق وسمعنا شخيره واضحا حينما صمتت الموسيقى وانتهت نمرة (الستربتيز) هذه . . . وصعقنا .

لاحظت ان اكثر (زبائن) المكان من الاجانب الشرقيين الذين ما تزال المرأة في عالمهم سرا مغلقا ، اومن المراهقين . وان الرجال الانكليز يحضرون برفقة بعض اصدقاء غرباء . ولما كانت ملاهي (الستربتيز) في (حي سوهو) المجنون ، تتابع وصلاتها دون توقف بين نمرة واخرى ـ الا لحظات يستعيد فيها الحاضرون انفاسهم وتستعد الراقصة التالية ـ لذا كان من السهل ان نراقب هذه الظاهرة ـ المدهشة لنا كشرقيين ـ فوراً . . . وهكذا ، تحولت نظرات اخي وانا في الوصلات التالية الى وجوه الناس بدلا من راقصات (الستربتيز) . وكان نوم الانكليز مللا اثناء تعري المرأة ظاهرة مثيرة تذهلنا كشرقيين . . . وغادر اخي المكان احتجاجا على ذلك .

لا حب في لندن

« مولاي وروحي في يده
قد ضيعها سلمت يده . . . »

كانت تلك ، الاغنية التي تدفقت من اذاعة الجزائر ، الاذاعة العربية الوحيدة التي نستطيع سماعها في لندن .

« مولاي وروحي في يده » كلمات من العصر البائد ـ على الاقل بالنسبة لهذه المدينة ـ

Akhawia.net

عصر الحب ، عصر « عطيل » او (بايرون) و (هيلين طروادة) . . .

وتذكرت عشرات المشاهد التي طالما فجعت حبي (الدمشقي التقليدي) للحب . . . مشاهد كانت تعبر ببساطة ووضوح عن موت (الحب) في عصر الآلة والحروب العالمية ، وعن نشوء نماذج جديدة (للحب) هي في نظري دمامل على جسد النفس الانسانية لا يمكن ان تدوم ، وطحالب في ارض الحقائق العاطفية الانسانية الخالدة ، لا جذور لها ، استنبتتها صواعق رجات انهدام الدين والتقاليد والمفاهيم الكلاسيكية في نفس الانسان المعاصر ، لكن حقيقة العلاقة الازلية بين المرأة والرجل أمر اكبر من ادوات تعبير العصور الوسطى عنه (كالشعر ، الفروسية ، التقاليد) ، وستدوم حتى بعد زوالها ، وبعد انحسار الزلزال على قيم العالم القديم ، اذ ان الحب حقيقة انسانية توجد القيم وليست القيم هي التي توجدها . . . واهتزاز القيم وتبدلها لا يعني زوال الحب .

اذكر اول لقاء لي مع هذه (الطحالب) . . . كان ذلك في احدى عربات المترو في لندن . مساء حزين من الصخب ، واندفاع كتل بشرية من التعب . وصوت حديد باب المترو الذي يغلق اتوماتكيا في كل محطة ، وبعنف يمزق الاعصاب . وفي احدى المحطات اغلق على جسد انساني حشره الزحام ، واغمضت عيني وقد ظننت انه سيفصله الى قسمين ، ووقفت على رجل واحدة اذ اعتقدت ان دمه سيغطي المركبة ، وستسبح اقدامنا في نهر من الدم بينما المترو يركض بوحشية في احشاء دهاليزه المعتمة ، وسوف يتصاعد نهر الدم حتى صدورنا ، حتى اعناقنا ، سيغطي وجوهنا سنتحشرج بطعم الدم ، سنختنق ، سنموت قبل ان يصل المترو الى محطته التالية وتفتح ابوابه ثانية اتوماتيكيا . . . لكن الباب لم يمزق جسد الشاب ، وانما انفتح عنه لثانية اتوماتيكيا بينما علا صراخ ناظر المحطة (ابتعدوا عن الابواب) . .

وحشر الشاب نفسه في الزحام . اغلق الباب . تلقاه صديقه الذي كان يرافقه بين ذراعيه اكثر مما ينبغي لرجل ان يفعل فرحا بنجاة صديقه . . . بدأ يرفع الشعر عن جبينه باصابعه ، شعره المتهدل الذي تبلل فجأة بعرق براق القطرات . . . بدأ العرق ايضا يتجمع في مسام جباه الركاب ، انصبت نظراتهم على المشهد . . . المترو يهتز بينما ينزلق في المنعطفات الضيقة بسرعة وحشية . . . اي رعب تقاسي منه قبيلة الفئران المسافرة ، لا رعب في عيني الشابين . . . شيء محموم كهربائي يتفجر من نظراتهما . . . شيء يشبه مشهد عناق امرأة ورجل على شاطىء بحر ما ايام كان هنالك حب . . ثم يهتز المترو المثقل بقبيلة الفئران المسافرة . يسقط الصديقان على الجدار الحديدي فيما يشبه التصاق الاطفال

Akhawia.net

المذعورين في الظلمة .

بدا الغضب واضحا في عيني رجل عجوز يرتدي بأناقة ثياب (عصر الملكة فيكتوريا) ويمسك بمظلته ، وكان طوال الوقت قبل ذلك يحدق في جارته نصف الحسناء ، وقال بصوت عال سمعه الركاب : هذا فظيع ومخجل ، يجب ان نبلغ البوليس في المحطة القادمة .

ورد عليه شاب تكسو وجهه آثار الجدري : لا تنس ان ذلك مسموح به قانونا . . . لقد اقره مجلس اللوردات منذ اسابيع !

وقف المترو في المحطة التالية ، وانسحب منه رجل (العصر الفيكتوري) ، واغمضت انا عيني . . . وحاولت ان اتذكر جميع قصائد الغزل التي كنت قد حفظتها من قبل عن ظهر قلب ، كما يتذكر المؤمن كتابه المقدس وكلماته ويتمتمها حينما يحس بخطر مبهم ، برصد ما ، بسحر شرير يحيط به . .

الفعل ورد الفعل

وفي الوقت الذي اتخذ مجلس اللوردات قراره التاريخي باقرار (الشذوذ الجنسي) وممارسته على اراضي بريطانيا العظمى ـ ذلك طبعا يشمل سفنها وطائراتها وسفاراتها ـ ، كانت موضة الميني جوب تلقى تطويرا عنيفا الى مرحلة الميكروجوب او (اللاجوب) ، حتى بدت لابسات (الميني جوب) العادي من الاقطار الاخرى شبه محافظات . . . (مثلي مثلا !) . . .

ربما كانت ردة فعل المرأة تهدف الى منحها امكانيات اكبر لاظهار انوثتها ، والمرأة تعري غالبا انوثتها في حالات الاحتجاج على هدرها . . .

وظهرت ايضا موضات اخرى اكثر ذكاء في تذكير الرجل بأنوثة المرأة وايام (الكومبارسيتا) والحب : كالثياب المزوقة بالدانتيلا ، والمزركشة بتطريز الحرير . . . الثياب التي كانت ترتديها جدات جداتنا في عصر (حب) الرجل للمرأة (ولو على طريقته الرهيبة !) . .

ولعل اطرف ردة فعل ، هي تلك الموضة الاخيرة : موضة حمل المرأة لنقودها في كيس يثبت على ساقها كما كانت تفعل جداتنا ، وكما ما تزال تفعل المرأة الفقيرة الساذجة ، حيث الرجال الفقراء ما يزالون يؤمنون بقيم كثيرة اولها المرأة ! وموضة اخرى عمت متاجر لندن وهي في نظري ردة فعل ذكية لتذكير الرجل بايام حبه للمرأة في الحقول وفوق اكوام القش ، وهي موضة الفستان الميني جوب والذي يبدو تحته حينما تسير المرأة او تنحني او

Akhawia.net

تجلس سروال قصير كتلك السراويل التي ترتديها الفلاحات ، وقد زينت اطرافه التي تشد على الفخذ بالدانتيلا وشرائط الحرير والساتان الملونة . .

وبدأت مجموعات الفتيات اللواتي يخرجن الى مقاهي لندن بلا رجال تتزايد . . وصار من الطبيعي مشهد امرأتين تراقص كل منهما الاخرى بحرارة بينما في الركن الآخر رجلان يتهامسان كما يفعل مراهق ومراهقة في (ستريوهات) بيروت !

ولعل من اطرف ردود الفعل الناتجة عن هذا الوضع هي موضة ارتداء النساء لثياب توحي بانهن رجال كربطات العنق و (التراوزرسوت) اي (البذلة بالبنطلون) بدلا من التايور . . . ترى هل هـي ردة فعل لان الرجل بدأ يرتدي القمصان الحريرية والعقود الملونة والمعاطف المخملية ؟ . .

ولكن ، ظلت هنالك عقبة عملية لا حل لها ، رغم تجاوز الرجل الشاذ للعقبات النفسية من دينية وتاريخية ، طالما شدت الرجل الى المرأة وهي عقبة الحمل .

وهنا ايضا تدخل العلم باقتراح اسمه (الحمل الاصطناعي) . . . وقال بصوت لا جنس له ، ليس مؤنثا ولا مذكرا كأصوات الاشباح والالهة والاشرار ، ان انجاب الاطفال لا يحتاج بالضرورة الى هذه المؤسسات الاجتماعية كلها ، وان مبضع الجراح كفيل بزرع طفل رجل ما في احشاء امرأة ما ، وسوف يكون هنالك اب واحد فقط للجميع وهو هذه المرة ليس (ابانا الذي في السموات) وانما هو على الارض وفي العاصمة بالذات واسمه الدولة .

روميو وروميو !

الحزن العميق ، ليس من اجل جيل من الارامل ، ولا من اجل جيل من صديقات (بينلوب) زوجة (اوليس) التي اضاعت شبابها في انتظاره ، ولا من اجل بؤس جيل من نساء بلا رجال . . الحزن ايضا من اجل جيل من اولاد الآلة . .

بماذا سيحلمون ؟ هل سيحلمون على الاطلاق ؟ هل يمكن ان يكتبـوا الشعـر ؟ حول ماذا ستـدور قصائدهـم ؟ . . . وسيمفونياتهـم ، بمـن ستتغنـى ، وبمـاذا ؟ . . . والانسان الذي عاش اجيالا يبني مؤسسة اسمهـا الـدار ، باي شيء سوف يستبدلهـا ؟ بمصنع ، بمختبر ؟ هل ينتهي به الامر الى عشق رجل آلي والتغني به ؟ . . .

وهل كتاب «غرامنا » لمؤلفـه « روجيه بيارفيت ابن عم الوزير بيارفت » من طلائع أدب ذلك العصر الحزين المقبل ؟ .

في هذا الكتاب ، يصف بطل الرواية قصة حبه لرجل آخر ، يرويهـا ابتـداء من

Akhawia.net

علاقتهما في الشارع حتى غرفة النوم ! . . . وعلى القارىء العربي ان يذكر نفسه باستمرار ان البطل لا يتحدث عن بطلة . والشاب العاشق يروي للآخر (وهما في وضع حميم) تاريخ الشذوذ ، ويرجعه الى ايام الاغريق ويأتينا بشواهد شعرية وتاريخية مثيرة .

ولا يخفى على احد ان للشذوذ تاريخا طويلا ، وان عصرنا لم (يخترعه) لكنه (احتضنه) و(كرسه) . والغريب في الامر ان اقرار (الشذوذ) جاء في الوقت نفسه الذي تلقى فيه الدعوة للسماح (بالاجهاض) في بريطانيا مقاومة كبيرة . . . حتى الآن (الاجهاض) ممنوع لاعتبارات دينية ومهما كانت الاسباب والشذوذ مسموح رغم الاعتبارات الدينية كلها . . .

صيف (اللاحب) الخطر

الحالة تلك ، التي يسمونها حبا ، والتي سمح بممارستها البرلمان البريطاني ، ربما كانت من الاسباب التي دفعت بالمسؤ ولين الى اقتراح مشروع يسمح للسجناء بلقاء زوجاتهم وممارسة الحب التاريخي التقليدي دفعا لخطر انتشار (الحب الآخر) الذي يجد في السجون عادة مرتعا خصبا لنمو جراثيمه . . وقد قدم الاقتراح نواب (واتشدوج) وعددهم ٤٣ نائباً . .

ومن ابرز ضحايا (الحب الخطر) ، الكاتب المسرحي الشاب جون اورتون الفائز بجائزة (الايفننغ ستاندر) و (الايفننغ نيوز) لاحسن كاتب مسرحي في عام ١٩٦٧ . وقد مثلت مسرحيته (لوت) لمدة عام كامل في اكبر مسارح ساحة (البيكاديللي) ولقيت نجاحا كبيرا وتأييدا من اكثر النقاد تعصبا ، وكان يوم طلعت الصحف تروي مصرعه في صفحاتها الاولى ، يستعد لعرض مسرحيته الجديدة التي تحمل حكايتها نبوءة بمصرعه . .

وقد التقيت باورتون لدى بعض الاصدقاء الادباء قبل مصرعه باسابيع ، وحدثنا عن حبه لمراكش التي قضى فيها الصيف ، والتي يذهب اليها من وقت الى آخر كلما وجد الى ذلك سبيلاً . وفسرت ذلك يومها على انه حب للشرق والشمس او في اسوأ الحالات مجاملة لعربية . . . لكن الصحف طلعت يوم مصرعه تروي حكايته المفجعة :

كان يعيش مع صديق له في بيت واحد . يهرب منه احيانا الى مراكش لكنه دوما يعود . يربطهما شيء رهيب اسمه « المخدر » بانواعه كلها من افيون وحشيش وماريوانا وحتى (ال . اس . دي) .

اورتون يحاول التمرد على هذا بعد نجاحه ويطلب (الطلاق) ويبحث عن شقة منفردة . يحقد عليه صديقه . يقتله بالبلطة بينما هو نائم ، يمزق رأسه الوسيم بوحشية . ثم

Akhawia.net

ينتحر بعد ذلك بتناول كميات قاتلة من المخدر ويسقط ميتا قرب فراشه على طريقة روميو وجولييت . . . وبالاحرى روميو وروميو !

الهيبيز ، أبناء « اللاحب » غير المؤذي

اطرف ما في جماعة « الهيبيز » او « ابناء الزهور » كما يسمون انفسهم انهم أوجدوا انفسهم باسم الحب ، وان حركتهم كلها تقوم على فكرة « اصنعوا الحب لا الحرب » ! . . ولكنهم ، لو صدقوا ، وابتعدوا عن ذاتهم ليقيموها بتجرد ، لرأوا أنهم احفاد جيل (الحرب من اجل الامبراطورية الاستعمارية) لا احفاد (الحب والزهور) .

انهم في بريطانيا يمثلون الجيل الضائع بلا حب . . الجيل الجديد الذي بزغ الى الوجود بينما شمس امبراطورية آبائه واجداده تغرب . .

وهم غرباء عن أهلهم . . . عن القيم التقليدية التي ما تزال تسود بريطانيا رغم زوال مسبباتها وانقطاع جذورها عن ارض الماضي الامبراطوري الذي ضاع . . .

ولذا فهم بلا هدف . . . انهم يتعلمون الطاعة والنظام ولكنهم لا يعرفون من اجل ماذا ، وماذا بعد . . . فيتمردون تمردا اعمى على كل شيء .

وجميع الحركات الانسانية تتميز بشيء واحد : الهدف ، سواء كان ذلك الهدف صحيحا من وجهة نظر عصرنا او خاطئا (كحركة هتلر لسيادة العالم مثلا) ، الا انه من الضروري دوما لاي شعب ان يمتلك غاية وهدفا كي يكون لوجوده معنى ، وذلك ما يفتقر اليه الجيل الحالي في بريطانيا . . .

في الندوات الاذاعية والتلفزيونية في لندن ، تبحث ظاهرة (الهيبيز والجريمة والمخدرات والعنف والشذوذ) اي ظاهرة (اللاحب) باستمرار ، ويتفق المثقفون والمربون على ان السبب الاساسي لهذا كله هو « افتقار الجيل الى قضية ، وعدم وجود هدف لحياته » .

وهكذا في حين يصمم الجيل البريطاني القديم على الحياة في وهم العظمة ، يمعن الجيل الجديد احتقارا للكبار ومسلماتهم ، ويتمرد في اكثر من شكل وصورة . . . ولا شك في ان لتمرد الهيبيز كثيرا من الجوانب البريئة والطريفة ، وهم جماعة غير مؤذية اذا لم يدمن اصحابها اسلوب حياتهم الى ما بعد فترة المراهقة . .

اطرف ما في (الهيبي - مفرد الهيبيز) هو مظهره ، وهو لا يختلف كثيراً بين الرجل والمرأة .

للجنسين ، الشعر طويل ومسترسل . القذارة شرط اساسي ، ولم لا وهم ابناء

Akhawia.net

الزهور ، والزهور في الطبيعة لا يغسلها سوى المطر ! . . . سيقان البنطلون كسيقان الشجر ، ملتفة بشدة حول الساق ومغبرة ومهترئة . البلوزة حريرية وناعمة ومن المستحسن ان تكون اثرية . الجاكيت هندية الايحاء ، نقوشها موردة برسوم ازهار صغيرة ، لماعة القماش ، ولا مانع من ان تكون جاكيت حربية لجنرال متقاعد من موديل (جاكيتات) عصر نابليون . . . اذ ان اول شعائرهم هو « اصنعوا الحب لا الحرب » ، وما داموا قد الغوا الحرب وبالتالي الجيوش ، اذن لا مانع من ان تعمم ازياء الضباط للجميع وترتدى في مناسبات « صنع الحب » ايضا لا الحرب فقط . . .

ولهذا ايضا كان من ابرز تقليعاتهم الاخيرة التي لقيت رواجا كبيرا تعليق الاوسمة والنياشين العسكرية على صدورهم . . انهم ابطال بلا معارك ، ابطال في معركة الحب فقط ، فلم لا تكون الاوسمة من نصيبهم ايضا ؟ . .

والاصابع في نظرهم جزء مظلوم من جسد الانسان ، والقفازات مكافأة لا تكفي ، وهم لذلك يرتدون الخواتم في كل اصبع من اصابعهم العشر ، ربما يأسفون لأنه ليس لديهم اكثر من هذا العدد المحدود من الاصابع . . . والاحذية غير موجودة . هنالك (الجزم) التي ورثوها عن العسكريين ، ويفضل عليها تعرية الاقدام ، اسوة ببقية الحيوانات الاليفة في الطبيعة !

والنياشين التقليدية ليست ضرورية ، فقد اخترع الهيبيز نياشينهم الخاصة ، وهي صفائح معدنية ملونة كتبت عليها شعائرهم مثل : « اصنعوا الحب لا الحرب » و « تمددي يا سيدتي . انا طبيب نفساني » ، و « لتسقط الثياب » و « مطلوب رجل فوراً » وغيرها . . . وهم يعلقونها على صدورهم ويزرعون الزهور في شعرهم وخلف آذانهم ، ويعلقون الاجراس في اعناقهم ، ولذا حينما تمر قوافلهم وتقرع اجراسهم يشعر الانسان بانه في اسطبل !

ومن اطرف المشاهد ، منظر العجائز الانكليزيات بشعرهن القصير المحلوق على طريقة يول براينر وثيابهن التقليدية وهن يتأملن بقرف ابناء الهيبيز وتود كل منهن ان تصرخ « لكم ثيابكم ولي ثيابي » . . .

وفي الوقت الذي منعت فيه وزارة المعارف في فرنسا الطالبات من ارتداء الميني جوب ، تبنت فتيات لندن (الميكروجوب الهيبي) ، وصارت الزهور تزين ايضا اطراف (التنانير) القصيرة . . . والواقع ان لندن هي العاصمة الاوروبية الوحيدة التي يندر ان تمشي فيها فتاة لا ترتدي الميني جوب ، ولم تعد لندن الراهبة التي تتعرى سرا وانما سرقت

Akhawia.net

من باريس علنا شهرتها كمدينة مجنونة لا مبالية وسبقتها باشواط في هذا الميدان . .

الكارنبي ستريت : سوق الجنون

وتباع ملابس (الهيبيز) في دكاكين خاصة بهم . واكثرها يقع في شارع الـ (كارنابي) ، بين ساحتي البيكاديللي واكسفورد ، قلب لندن . ومخازن بيع ثياب الهيبيز مسرح قائم بذاته . . . المخزن شاحب الاضواء ، يخلق جوا شبيها بجو الستريوهات ، وموسيقاهم مجنونة وصاخبة ، موسيقى الجيرك ، وأغاني البيتلز والرولينغ ستونز وغيرهم . . . وعاملات البيع من الهيبيز ايضا ، مراهقات جميلات لا يقفن بصمت في ترقب الزبائن وانما يرقصن باستمرار ، وحتى اثناء اتمام عملية البيع ، لا تكف العاملة عن هز ارادفها والتمايل .

وهناك مخزن مشهور في (كنسنغتون شورش ستريت) يدعى « بيبا » ، سبق ان قامت عدة مجلات اوروبية بنشر صوره ، وهو خاص بثياب الهيبيز في طابقه الارضي ، واما القبو فغرفة واسعة جدرانها كلها من المرايا حيث تقف الزبونات حولها وتبدل النساء ثيابهن دون اية ستارة بين الواحدة والاخرى . . . غابة من الزعيق والموسيقى والثياب المخملية والرياش ، وعدسات المصورين التي تتسلل من وقت الى آخر في لقطة محرمة .

قصرهم الكبير وحمام الصعاليك

اهم مراكز تجمع الهيبيز ، ومقرهم العام ساحتا البيكاديللي والترافلجار . .

هناك يجتمع الهيبيز من اطراف اوروبا كلها . . . وهناك يقررون نشاطهم وبرامجهم الغريبة . . وتتوسط ساحة الترافلجار الواسعة جدا بركة ماء كبيرة ، ومن النكات التقليدية (للهيبيز) انهم يقولون للسواح : تفضلوا واستحموا في حمام قصرنا ! . . . وهناك ايضا يلتقون ليبدأوا رحلاتهم (الهيتشهايكنغ) ، اي انهم يقطعون القارة دون ان يدفعوا قرشا أجرة للسفر . . . انهم يقفون في الشارع طالبين من السيارات المسافرة حملهم (اوتوستوب) . . . وهكذا من سيارة الى سيارة ومن مدينة الى اخرى . . .

ومن اهم اهدافهم : الحج الى الهند . . . فهم يتظاهرون بان لهم صفة روحية وموقفا فكريا ! . . الا ان الصحف البريطانية تسخر منهم باستمرار في كاريكاتوراتها المصورة ، اذ لا علاقة لهم بالهند الا في عقودهم الهندية وسراويلهم . . . ومن اطرف ما نشر عنهم كاريكاتور لثلاثة منهم يهمس واحدهم للآخر : هل أسأله « السؤال الاكبر » ؟ هل اسأله « السؤال الاكبر » ؟ . . . هل اسأله من اين اشترى عقوده ؟!

والواقع ان اكثرهم يرحل حتى اسطمبول ، ثم يقفل راجعا او يبعث ببرقية الى اهله

Akhawia.net

طالبا بطاقة طائرة ليعود . . . فهم يعتبرون اسطمبول بوابة الشرق ، حيث ينتمون روحيا ، ولهم هناك مخيم دائم قرب الجامع الازرق .

ومن أجمل المشاهد في لندن صيفا ، ساحة البيكاديللي الصاخبة وقد جلس على درجاتها المحيطة ببركتها اكوام من الشبان والشابات ، بعضهم نائم واكثرهم يغني او يعزف على جيتاره ، والحمام يطير ويقف ويقضي حاجته فوق وجوه بعض النائمين كانهم تماثيل لتعب الجيل الحائر . . والسواح يلتقطون الصور ورجل البوليس (الوسيم دائما في لندن) يقف بوقار ، وتمثال إيروس المنصوب وسط البركة يرقب ذلك كله بحيرة واسى ، وربما يتساءل : هل يمكن لجيل كهذا ان يصنع نصرا كالذي صنعت ؟

كرافتات دوق أوف يورك

وللهيبيز ايضا خماراتهم الخاصة ، وهي تزدحم في الشتاء حينما يستحيل لقاؤهم ونومهم في الساحات العامة والحدائق . . . واهمها خمارة « دوق اوف يورك » . . . وهي مكان عجيب ليس فيه من ارستقراطية « الدوق » سوى كرافتاته التي لا يرتديها الزبائن ، وانما تتدلى من السقف ومن الجدران كديكور للمكان ! . . . واذا تصادف ان دخل رجل ما الى هذا المكان وهو يرتدي ربطة عنق ، فان عشرات من ايدي الهيبيز سوف تمتد الى عنقه وتستولي على الربطة (المجرمة !)، وبعد لحظات ستتدلى من السقف مع بقية الربطات (المشنوقة) . . ويتركون لك تفسير هذا العمل الرمزي .

وهذه الخمارة تقع في احد اطراف حي سوهو ، في شارع (ووردور) والشارع نفسه مكان عجيب ، المفروض ان الدكاكين تبيع ثيابا رجالية ، لكن السائح يظن انه يحلم حين يرى (ثياب الرجال) تلك ، المصنوعة من الحرير والمخمل والساتان وعقودهم الخاصة وخواتمهم !

مهرجاناتهم التقليدية

يستعرض (الهيبيز) انفسهم اسبوعيا في شبه مظاهرة تخترق شارع (كينغزرود) اي شارع الملوك ، وهو يقع فيشلسي . . .يجيئون صباح كل سبت في سياراتهم الملونة التي رسمت عليها صور ازهار بألوان فاقعة جدا ، ومشهدها وهي تتحرك في شوارع العاصمة التقليدية البيوت والوقار مضحك فعلا . . . ويهبطون من السيارات بموسيقاهم وازهارهم ، وفي احد ايام السبت قام بعض الاخوة العرب ببيع (الحنة) لهم ، وكانت النتيجة ان (الحنة) بدأت تنفد من المخازن الهندية التي تبيعها ، وسرت التقليعة كالهشيم ، وعدل الاخوة الطلاب ميزانيتهم المتعبة ! . .

Akhawia.net

وفي الكينجز رود خمارة اسمها (جايز اند دولز) اي شبان ودمى تؤمها جميع الفتيات الجميلات الباحثات عن مجد سينمائي ، وهكذا نجد في الشارع صباح كل سبت موكب ابناء الازهار وبناته ومصورين صحافيين وفضوليين وسواحاً ورجال دين ومنتجين واحيانا مشاهير الممثلين واثرياء ودجالين . . . ويتجمع هذا الكرنفال البشري في المقاهي والمخازن اذا كان الطقس سيئا ، وينتشرون على الارصفة اذا تصادف ان اشرقت الشمس . . وعندما يقترب المساء ، يذهب اكثرهم الى (قهوة المجانين) في (فولهام رود) حيث الرقص المسعور حتى الصباح والرسم على الجدران والسقف واحيانا يمتد الرسم والرقص حتى ارصفة الشارع . . .

واكثر مقاهيهم غريبة الديكور ، مثلا ، في مقهى (ماكابر) بسوهو المقاعد توابيت ، وديكور الجدران هياكل عظمية ، والاضواء تنبعث من افواه الجماجم وحتى كؤوس الشراب لها شكل الجماجم ، والموت ينبح من الاضواء الزرق الشاحبة كشفاه الموتى . . . وفي هذا المكان ، يمارسون رقصا فيه كثير من الموت : موت الهدف في نفس افراد الجيل .

واعلن زعماء الهيبيز عن اقامة عيدهم الكبير ، عيد الحب لمدة ايام ثلاثة . . . وكان المقر العام للاحتفال في سهول سولزبري ، هذا الى جانب مراكز اخرى ثانوية كالهايد بارك وحديقة (ووبرن بارك اوف دوق بدفورد) وتجمع في الاخيرة وحدها ألف منهم ، اما في سهول سولزبري فقد كان عددهم يفوق الخمسة آلاف .

قضوا الايام الثلاثة مع الطبيعة . . التحفوا بالسماء ونجومها ، ولم يكفوا لحظة واحدة عن شرب الخمرة والغناء ، ممجدين الحب والسلام وشارحين فلسفتهم الخاصة التي ترمز الزهور اليها !

اما في الهايد بارك ، فقد تجمع حولهم الفضوليون ، اذ ان لندن تعج بالاجانب ، ومشهد حلقاتهم العجيبة كان يلفت الانتباه . . . وكانوا يديرون اوراقا يسجل كل عليها اسمه ثم حروف غريبة من المفروض انها لغتهم الخاصة . . .

وقد ثار احدهم غاضبا وصرخ في وجه الجمع الفضولي : ماذا تريدون منا ؟ ادفعوا نقودكم (اذا كنتم تعتقدون اننا مشهد للفرجة) وامشوا من هنا .

صلاة من أجل الزعيم

وكانت النتيجة معركة تدخل فيها البوليس في عيد الحب واللاعنف !

وفي ختام عيد الحب ، ساروا جميعا في مظاهرة (جليلة !) ، وبدا فيها الميكروجوب اكثر من ظاهرة ، وكان اكثرهم حفاة الاقدام او يرتدون (البوطات

Akhawia.net

العسكرية !) . . . وفي هذه المظاهرة من الشبان طويلي الشعر والتقليعات ، ظهر رجل عجوز جدا يلاحقها ، رجل كأنه خرج للتو من قبره او ان عمره اكثر من قرن واحد ، وكان يحمل لافتة شدت الى جسمه وكتب عليها : قريبا ستقوم القيامة ! . . اما اهل لندن ، فهم يمرون بهذا كله دون ان يعيروه كثيرا من التفاتهم ، بل انهم يعتبرون تحديق الانسان بسواه قلة ادب وافسادا لحرية الغير . . . ان موقفهم مما يدور يلخصه موقف ذلك الانكليزي النائم أمام مشهد الستربتيز .

واطرف ما في الهيبيز علاقتهم الودية مع السماء رغم كل شيء . . . وحينما اوقف البوليس احد افراد فرقتهم الغنائية المحبوبة « الرولينغ ستونز » ، بسبب تعاطيه المخدرات ، وقدم للمحاكمة ، اعلن الهيبيز عن « ايام للصلاة » من اجل انقاذه ! . . . وهكذا استحال الرصيف المجاور لفندق (الرويال جاردن هوتيل) حيث نزل المطرب (الحشاش) بساطا للصلاة طوال الليل والنهار التقت فيه جموعهم ، وكانت صلواتهم تستحيل زعيقا هائلا كلما خرج (المصلى له) من والى المحكمة بشعره الطويل وعينيه الحالمتين . . .

الانفصال عن الواقع

ربما كانت مأساة الهيبيز الانكليز بالذات انفصالهم عن واقع الحياة اليومية ، ومحاولتهم اليائسة لخلق عالم خاص بهم جديد وغريب . .

فهم يعيشون في عزلة تامة عن وطنهم وعن بقية افراد الشعب ، ولهم مفاهيمهم واغانيهم ومخازنهم ومطربوهم واساطيرهم . ولهم ايضا مجلاتهم الخاصة ، وهي مكشوفة وتعتبر ان كل ما في الطبيعة خير ، والقتل فقط محرم ، الحب مسموح بلا قيد ولا شرط ، والحرب ممنوعة بلا قيد ولا شرط . . .

ولما كانوا يعيشون في عالم خيالي بعيد عن واقع حياة اي فرد ينتمي الى ارض وتاريخ ومستقبل ، كانت المخدرات ضرورية لتساعدهم على هذا الهرب المستمر . . . واكثرهم يتعاطى الحشيش والماريوانا ، وصنع (المثقفون) منهم الـ (ال . اس . دي) اذ ان هذا المخدر يركب في المختبر . . .

وتسير قافلتهم محملة بالزهور ، بينما الشوك ينبت داخل ادمغتهم دون ان يدروا .

الهيبيز لدنيا ،من رجال الفكر والسيف

نحن هنا ، نقف مدهوشين امام ظاهرة قبيلة الهيبيز تلك ، مظهرها ، اسلوب حياة افرادها ، وجنونها . . .

Akhawia.net

ومراهقونا ، مهما قلنا عن ولعهم بالتقليد ووباء الستريوهات ، ليس بينهم من هو (هيبي) بمعاني الكلمة كلها ، مشرد فكريا حتى الانقطاع التام عن جذور الآخرين . . مراهقونا من فئة هيبيز الصالونات . ولكن المصيبة ، اننا نجد بين (عقلائنا) و (مفكرينا) و(ساستنا) و . . . من الذين تخطوا سن المراهقة زمنيا ، نجد بينهم من هم (هيبز) فكريا ونفسيا وعمليا . .

وبعد .

أليست الصفة الفكرية البارزة (للهيبيز) عزلتهم عن مجموع الشعب وامانيه ، وانفصالهم عن واقع الآخرين ومنطق التاريخ ؟!

Akhawia.net

لندن ٢٥/ ١٢/ ٦٧

كلنا نعيش في الغواصة الصفراء

عن « الغواصة الصفراء » لندن ، ما زلت اكتب . . .

« كلنا نعيش في الغواصة الصفراء ، الغواصة الصفراء . . . الغواصة الصفراء » . . . اغنية (البيتلز) الشهيرة ما تزال المفضلة لدى ملايين من شبيبة لندن . . . ما زالوا يهذون فيما يشبه الصراخ « كلنا نعيش في الغواصة الصفراء » بينما يضربون الارض باقدامهم رقصاً مسعوراً ، ويمزقون حناجرهم وثيابهم ، ويزرعون اظافرهم في لحم الليل الطويل المسدل على شمس طموحهم . . .

ان اكثر ما يدور في اقبية لندن المعتمة ، وشوارعها الباردة ، يملأ الانسان باحساس غامض بالحزن والمرارة واللاجدوى . . . يشعر بانه حبيس تلك « الغواصة الصفراء » ، الساقطة الى قاع محيط رمادي من الضياع ، الذاهبة الى حيث لا احد يدري ، محملة بالمخدرات والقرف والجريمة والخيبة والغربة . . .

اول شيء يلتقطه ـ حتى السائح عابر السبيل ـ في لندن هذه الايام ، هو جوها المريض المحموم ، وضياع جيلها الجديد ، واتساع الهوة بينه وبين أهل الجيل الماضي ، وانقطاعه عن جذوره دون لقاء بديل عنها . .

عناوين الصحف كلها تتحدث عن حملات البوليس في الآونة الاخيرة على بيوت المخدرات والسادية الجنسية . . .

ومن يقرأ الصحف هنا هذه الايام ، يظن ان روائيا ساديا مجنونا ، مهووسا بالجنس والتعذيب والرعب ، هو الذي يكتبها . . . ويسطر اخبارها . . .

و« ادب الرعب » الذي ازدهر في العصور الوسطى وأطلق عليه اسم الـ (جوثيك نوفلز) ، يبدو كحكايا اطفال سذج ، امام فظاعة القصص التي تدور في لندن ، وترويها الصحف مع الاسماء والصور .

وأهل « الغواصة الصفراء » يرددون برعب اخبار آلاف الحوادث المثيرة المتكررة . . . وهنالك حادثة يتندر بها الشبان العرب ، دون ان يدروا انها تعرض مأساة الجيل الجديد هنالك ، الجائع الى الاثارة في غابة استبيح فيها كل شيء . . .

Akhawia.net

لا تطفىء التلفزيون

سلمان . شاب عربي ، اسمر وسيم طاردته فتيات لندن منذ الليلة الاولى لوصوله لانه يشبه عمر الشريف . كان يهرب منهن ، فقد تعلم في بلاده ان المرأة شيء محرم ومقدس وعيب ، وهي تثير في نفسه مزيجا من الجوع والرهبة والاحساس بالذنب ، احساس يشبه اشتهاء رجل لراهبة اثناء الصلاة ، وله طعم الدموع الجافة على اهداب عينين مغمضتين تحت شفتيه .

واخيرا ، قرر وسط عاصفة من سخرية اصدقائه العرب (لانه رجل عذراء) ان يمشي في درب (الرجولة) المعبد باللحم الابيض والغابات الشقر . . .

وذهب بديانا الى غرفته . كان مرتبكاً . تذكر ان اصدقاءه قالوا له : اقترح عليها الذهاب الى غرفتك بعد العشاء لتتناولا القهوة ، وهناك يمكن ان يحدث ما يجب ان يحدث . وقد نسي فيما اذا كان عليه ان يذكر القهوة (قبل ذلك) أو (بعده) . . . وفي غمرة ارتباكه ادار جهاز التلفزيون وجلس يرقبه وجلست ديانا الى جانبه والتصقت به . خاف . قرر ان يهرب ليعد القهوة . رفضت . سألته بصراحة وكثير من اللامبالاة . الا تريدني . كاد يجن . هكذا ، ببساطة ، دون ان يقرأ عليها أشعار قيس وعمر بن ابي ربيعة مترجمة ودون ان يعدها بالزواج نهضت تخلع ثيابها في النور الساطع . اطفأ النور بسرعة لانه خجل . نسي اغلاق التلفزيون في غمرة ارتباكه . . .

واخيرا . امرأة شقراء فاتنة له وحده . كان يشعر بأن اعصابه كلها تنتصب في أفق مضيء وحار وبنفسجي ، وانه يكافح ليتنفس اذ لم يعد في صدره فراغ لغير النشوة ، المرأة ، قارة اللذة ، اخيرا . فجأة فتح عينيه وابعد وجهه عن صدرها ، وحدق فيها فوجدها باردة هادئة تحدق في شاشة التلفزيون بعينين زجاجيتين كانه لا علاقة لها بما يدور مع جسدها . . . ظن ان التلفزيون يزعجها ، كان انغماسه فيها يشبه العبادة حتى سها عن العالم الخارجي . . . لذا اعتذر منها . وقرر ان ينهض ليدير زره ويطفئه . فما كان منها الا ان هتفت بحرارة محتجة : لا ، ارجوك اتركه . انني ارقب برنامجي المفضل . . .

ليلتها هرب سلمان مجنونا الى المقهى حيث الاصدقاء . . . لم يكن ليصدق ان المرأة يمكن ان تتحول الى شيء كهذا ، تمارس الجنس بينما ترقب برنامجها المفضل في التلفزيون ، كما يطالع الناس صحف الصباح بينما يتناولون وجبة افطارهم بلا مبالاة . . .

كانت صدمة ، جعلت سلمان يعامل النساء فيما بعد بآلية ، بقسوة ، كما لو كن سلعة ، او قرصاً من الاسبرو . . . وجعلته يفقد ايمانه بالحب ، ويفقد شهيته للجنس

Akhawia.net

يعيشه بينما يعاني من احتقار ضمني له .

والواقع ان رخص الجنس وبروده وآليته في « الغواصة الصفراء » قد يكون مسؤ ولا عن كثير من الانحرافات الغريبة التي تصيب الناس هناك . . .

واعتقد ان في هذه الحادثة التي فجعت الشاب العربي ما قد يدفع بكثير من شبانهم الى الانحراف والشذوذ والسادية والاجرام . . .

وربما كانت تفسر هذه الظاهرة الخطيرة التي يتحدثون عنها في الغواصة الصفراء . . . ظاهرة قتل البنات بين الـ (٧ ـ ١٠ سنوات) بعد اغتصابهن من قبل ساديين جنسيين اذكياء جدا قلما افلحت العدالة في اقتناصهم . . .

كما قد تفسر ايضا السماح بالشذوذ للرجال ما دامت لعبة المطاردة وتدنيس شيء محرم قد انتهت وصار للجنس طعم المعلبات ورخصها وسهولة الحصول عليها .

واذا كان العربي الجاهلي يقتل البنات خوفا من العار (الجنس) ، فان قتل البنات يتم هنا لانه لم يبق هنالك ما يهز القاتل (جنسيا) الا شيء جديد ومنحرف ومن ابتكاره : وهو التعذيب والقتل . . . انه يفضل ذلك على البرود المستسلم الآلي للنساء الناضجات اللواتي يرقبن التلفزيون وربما يشتغلن بالتريكو بينما يستسلمن للرجل . . .

وقد حدثت سلسلة من جرائم اختطاف البنات ثم قتلهن ، كان آخرها مقتل طفلة ، خرج في جنازتها اكثر من ١٥ الف مواطن معظمهم آباء وامهات جاءوا من قرى مجاورة . . . وظل القاتل الذي اغتصب الطفلة وقتلها وشوه جثتها مجهولا يلقي الرعب في قلوب الاطفال الذين تم تحذيرهم في المدارس من السير منفردين او التحدث الى رجال غرباء . . .

الجنس المباح
يسبب الجنون والجريمة ؟

يتحدثون عن عشرات الحكايا العجيبة السادية المشابهة . . . ازواج يصابون بانفصام الشخصية ويصرون على ارتداء ثياب زوجاتهم ، وعبثا يداويهم الاطباء بالصدمات الكهربائية ، اذ ينطلق بعضهم مسعورا يقتل على غير هدى كذئاب الغابات . . .

ان الجنس المباح الرخيص دفع بالبعض الى الجنون . . . والمرأة التي لم تعد سرا اثارت في نفوس الكثيرين الرغبة الى امتلاك شيء جديد ومحرم هو الاطفال ، كما اثار (استرجالها) في الآخرين الغيرة المريضة ، ودفعهم الى ارتداء ثياب النساء ربما

Akhawia.net

احتجاجاً . . . كأن احب ما في الجنس الى قلب الرجل هو انه محرم ، و (تابو) ، وكأن ما يثير شهية البعض ولذتهم هو هتك الممنوع والمحرم ، وبالتالي رفضهم لجنس العصر المجرد من اية عاطفة ، حتى من عاطفة الخوف !

يتحدثون ايضا عن فتيان وفتيات ذهبوا الى المدرسة او النزهة ولم يعودوا ، ثم وجدت جثثهم مرمية في الحقول ، وعليها آثار تعذيب وتشويه لا يمكن ان يرتكبها الا وحش مريض . .

بيوت تداهم ، وحقائب تختطف من ايدي النساء في محطات المترو ودهاليزه ، ومسعورون تحت تأثير المخدر ينتحرون ، ويتشاجرون ، وينطلقون في الليل حيوانات بشرية معبأة بالهذيان والعنف . .

الفتيات يقفلن ابوابهن ليلا بحذر ، ويحلمن بيوم العطلة للذهاب الى بيت الاسرة في القرية ، والنوم بامان وطمأنينة ولو مرة في الاسبوع . . شبان جامعيون ادمنوا الـ (ال . اس . دي) ، يقفزون من نوافذ الدور العاشر فما فوق متوهمين انهم قادرون على الطيران كالعصافير . شاب يخلع ثيابه راكضاً الى الكنيسة ، ليقفز من فوق سطحها ربما نحو السماء ولكن الارض تتلقفه امام نظرات الكاهن المدهوش .

جنون تعاطي المخدرات يجتاح البيوت السرية والكهوف ويتخطاها الى الجامعات والكنائس ! . .

في جامعة اوكسفورد فضيحة كبيرة ادت الى طرد ثلاثة من الطلاب بسبب الادمان على المخدر في المختبرات . .

وفي « كنيسة القديس جورج » في بيكلي ـ مقاطعة كنت ـ ابلغ راعيها الأب « كانان هاج غلاسير » البوليس عن اكتشافه للحشيش ولمخدرات اخرى يدخنها الشباب في نادي الكنيسة الذي يضم ١٥٨ من الاعضاء ! . . . (عن جريدتي الايفننج ستاندرد وايفننج نيوز) .

باتريشيا بوش(١٦ سنة) ماتت بعد ان تعاطت كمية كبيرة من المخدر . تبين للمحقق كرابتري أنها بدأت منذ الثانية عشرة من عمرها بتناول المخدرات الخفيفة المهيجة ، ثم انتقلت الى مرحلة الادمان العنيف واخيرا قضت نحبها تحت تأثير الـ (ال . اس . دي) والحشيش والهيروين . . . (عن الديلي اكسبريس)

« الادمان » مرض عصري جديد

وضمن ٨٨ شابا ، اعمارهم تتراوح بين ١٥ و٢٥ ، تبين للدكتور ايفان كلاوت ان

Akhawia.net

عشرين منهم بحاجة الى العلاج الفوري من ادمانهم على ابر الهيروبين التي وجد آثارها على سواعدهم ! . .

وقال في محاضرة القاها حول هذا « المرض الجديد : الادمان » ، ان تعميم هذه النسبة يدل على اصابة مائة الف مواطن اعمارهم بين ١٥ و٢٥ بمرض الادمان هذا . .

وقامت ضجة كبيرة حول ادمان الجيل الجديد على المخدرات لما لذلك من علاقة بالجريمة وتدمير الذات وهدر الطاقات ، وقرر المسؤ ولون اتخاذ تدابير سريعة عملية وحاسمة . . .

ورافقت جولة وزير الصحة على المستشفيات للتحقق من معالجة المدمنين ، صيحة السير جورج جودبر الضابط الصحي الاول بالوزارة قائلا : لقد ارتفع عدد (الوصفات) الطبية لادوية مهدئة او منومة او مضادة للكآبة وانقباض الصدر من ٢٥ مليون عام ١٩٦١ الى ما يفوق ٣٧ مليون في العام الماضي (عن الديلي تلغراف . عدد ٢٤/ ١١/ ١٩٦٧) . وينحي بعض المثقفين باللائمة على الصحف التي (تهول) اخبار المخدرات وتبرزها . . . ولكن الصحف مصرة على حملتها . . . وصار من الطبيعي ان تقرأ خبرا كهذا (طفلة في الشهر الرابع تتعذب بطريقة مرعبة . . لقد ورثت الادمان عن امها المدمنة على الهيروبين ، ومنذ اللحظة الاولى لولادتها وجسدها يتشنج طالبا الهيروبين . .)،تقول الصحف :

الناس يتذمرون من حملتنا على المخدرات . اليس من المفجع ان تبدأ طفلة بريئة حياتها بهذاالوضع المفجع ؟ وهل نملك امام ذلك الا قرع اجراس الخطر ؟ . .

وبدأت المستشفيات بتطبيق اساليب جديدة لمداواة المدمنين ، ابرزها في مستشفى (الميدلاند) في برمنغهام حيث يعطى المدمن مخدره الذي اعتاده ، ثم يوضع في الظلام ، وامام وجهه شاشة ، وعلى الشاشة تلتمع بالتوالي صور مدمنين بشعة في لحظات ادمانهم وعذابهم ، ثم صور بشر عاديين سعداء في لحظات اشراقهم ومرحهم البريء . . وترافق صور المدمنين البشعة أنات وصرخات ألم وتوجع ، بينما يستحيل الشريط الصوتي المسجل الى موسيقى حالمة وضحكات وهمسات مع صور السعداء . . .

سقوط الاخلاق وسقوط الاسترليني

وجيل « الغواصة الصفراء » المصاب بالتعاسة والكآبة والملل ، يحاول ان يداوي هذا كله بالعقاقير المهدئة والمثيرة . . وبينما ترتفع نسبة المقبلين على هذه الحلول المصطنعة ، تهبط قيمة الاسترليني .

Akhawia.net

كانت مفاجأة واجهها الشعب بمظاهرة امام باب ولسون ، وقد صعقته واذهلته . . . ترى هل توقظ نكسة الاسترليني اهل « الغواصة الصفراء » على الانحدار المرير ؟

وهل هنالك علاقة بطريقة ما بين انهيار الاخلاق في بريطانيا وانهيار الاسترليني ؟ . .

اعني بالاخلاق احساس الفرد بالمسؤ ولية امام وطنه والتزامه بذلك ، وبالتالي يفقده التزامه هذا حقه بالانتحار النفسي ـ تخديرا او انهيارا ـ ، لان فيه ، بطريقة غير مباشرة ، هربا من المسؤ ولية والالتزام الجماعي .

وفي ندوة تلفزيونية ، اعلن احد المثقفين : ان سبب ضياع جيلهم الجديد هو انهيار قيم العصر الفيكتوري والقرن التاسع عشر (حب . دين . اخلاق) وعدم ايجاد بديل لها عندهم . . وبالتالي افتقار الجيل الى قضية يلتف ابناؤه حولها ، او هدف انساني لوجودهم . .

سموم للبيع في بلادنا

وفي بلادنا العربية ، يجب ان لا ننظر الى هذا كله بازدراء السليم ، كما يجب ان لا نسارع الى غبط انفسنا والتعبد بفضائلنا في مرايا الذات . .

ان أخطاراً كثيرة تتهددنا ، وتتهدد جيلنا الصاعد ، دون ان يحيط جهلنا بها . .

ان الادوية تباع في صيدلياتنا كما تباع اية بضاعة اخرى في مخزن للكماليات او دكان للاحذية . . .

الادوية المنومة والمثيرة وكلها تعتبر مركبات كيماوية من التي يمكن ان (يدمنها) الانسان ، تباع كلها ببساطة ، ودون (روشته) وهو أمر لا نجد له مثيلاً في أية دولة من دول العالم المتمدن . . .

في باريس وفي لندن وفي اية عاصمة اوروبية اخرى لا يستطيع اي مواطن ان يبتاع دواء الا بناء على « وصفة » طبية تحدد المسؤ ول عن صرف الدواء . . .

ان عشرات العقاقير التي تباع للفتيات العربيات من اجل (الريجيم) تعتبر في بلاد العالم المتمدن مخدرات ، وقطع الشهية ليس الا نتيجة من عشرات الاشياء الاخرى التي تسببها للجسد . . . كمثال اذكر الـ (بريلودين) و (الدكسدرين) . . . وهناك ايضا عشرات من الادوية المنومة والمهدئة التي يستطيع أي منا شراءها ببساطة من اية صيدلية ، ويعتبر حملها في بلاد العالم المتمدن جريمة (الا في حالات الضرورة القصوى وباشراف

Akhawia.net

الطبيب) لانها كلها تهيىء الانسان للادمان على المخدرات الاخرى الخطرة ، ولانها ايضا تمنحه حلولا تقوده الى الانهيار العصبي اذ انها تضعف الارادة وتشتتها بالنسيان ، وتعود الانسان الهرب من ازماته بدلا من مواجهتها . .

ومن الضروري وفورا ، حظر بيع الادوية الا بموجب (وصفة) طبية ، وبصورة خاصة الادوية المنومة والمهدئة والمثيرة . . . ان الكثيرين يعانون من الادمان دون ان يدروا . . فالاستهتار في بيع العقاقير جعلنا جميعا لا ندري انها من فصيلة المخدرات ، وانها نوع من انواع تلك التي يتعاطاها اناس نشفق عليهم وننظر اليهم ربما باشمئزاز ، دون ان ندري اننا معرضون للسقوط في الهوة نفسها لدى اول فرصة ، وان مناعتنا الجسدية قد ذهبت ولم تبق سوى المناعة الفكرية التي تهتز احيانا في لحظات الحزن او اليأس وتسلم الانسان فريسة للسقوط . . .

لماذا نعرض جيلنا الطالع للتجربة ، وننفق نقودنا على التخدير ؟ . .

ان شعبنا العربي في هذه المرحلة من تاريخه محكوم بعدم النسيان او الهرب . . النسيان او الهرب جريمة ، ويجب ان لا نحرض عليها او نساعد عليها بطريقة مباشرة او غير مباشرة .

واذا كان « جيل الغواصة الصفراء » هناك ، يعاني من رحيل غواصته رحيلا نهائيا عن (شطآن امبراطورية لا تغرب الشمس عنها) الى حيث لا يدري . . . واذا كانت الهوة متسعة بين الجيل الاستعماري القديم الذي يصر على العيش في اوهام عظمة الماضي ، وبين الجيل الجديد الضائع الحائر المفجوع ، فان جيلنا العربي الطالع رغم آلاف المشكلات التي يواجهها يملك كنزا فكريا واحدا وهو ان له اكثر من قضية . هدف . يقين .

جيلنا الطالع لديه قضية ، ولديه يقين ، ومأساته هي في اسلوب العمل ، في تشتته عن العمل ، في آلاف القوى الخارجية والداخلية التي تحول بينه وبين العمل . لكنه يعرفها اهدافه الكبرى : الوحدة . . . تحرير اي جزء مغتصب من اراضيه . الحرية . العدالة الاجتماعية . الكرامة . الديمقراطية . . . كلها وجوه متعددة لحقيقة واحدة كبيرة هي القضية العربية . .

في حقيبتي جثة

اعود الى الغواصة الصفراء . . .

اذكر انني عدت ذات ليلة الى لندن من اسكوتلندة متعبة بعد رحلة القطار

Akhawia.net

الطويلة ، وجلست اقرأ احدى الصحف ريثما استريح وافتح حقيبتي واعيد ترتيب اشيائي . . . وكانت الصحيفة تتحدث في صفحتها الاولى عن اكتشاف جثة فتى كان قد اختفى منذ ايام ولم يعثر البوليس عليه . . . لقد وجدت جثة الفتى مقطعة ومحشورة داخل حقيبة سفر تركها مسافر مجهول في محطة فيكتوريا . . .

وبعد ان انهيت قراءة الحكاية المرعبة ، نهضت لافتح حقيبتي ، وفجأة دهمني خوف جارف : ماذا لو وجدت فيها جثة مقطعة لشاب ما ؟ اليس من المحتمل ان اكون قد استبدلتها خطأ بحقيبة أخرى ؟

وناديت اخي ليفتح الحقيبة والدهشة تملأ وجهه لانني كنت ارتجف خوفا .

الاكاديمية العصرية للاجرام والسادية

وتعبر عن هذه الموجة من العنف والقسوة موجة من الافلام الجديدة التي تزيد في نارها تأججا ، وتضمن تخريج جيل جديد من مشاهدي السينما والتلفزيون وقد زرعت في قلوبهم بذور الجريمة والقسوة .

فقد عشت اسبوعا من الرعب !

سار على بعد خطوات مني رجل مقطوع الرقبة ، تغطي الدماء صدره ، وشاهدت عملية ولادة تمت في احتفال سادي ، وحضرت زفاف اخ واخته ، هذا بالاضافة الى بعض جرائم القتل العادية البسيطة . . .

وشاركني في رؤ ية هذا الموكب الدموي ـ للذئاب المنومين مغناطيسيا ـ مئات آلاف الناس ، وقد دفعنا جميعا الثمن غاليا اولا من اعصابنا وعاشرا من جيوبنا . . .

وقد بدأ هذا كله يوم قررت ان اعيش اسبوعا مع « الفن الحديث » في السينما والمسرح . . وكانت النتيجة انني عشت دورة في « الاكاديمية العصرية لتعلم الاجرام والسادية » . واكتفيت من التجربة بعدة أفلام اذكر منها : اختي حبيبتي ، واونباما اوالحب البدائي ، وفيلم العاب ليلية وغيرها . .

وقد ثارت الصحافة على هذه الموجة من الافلام ، واتهمتها بالميلودرامية والانحطاط والسخف ، ودافعت (الموجة) عن نفسها بقول روادها : اننا نصور الواقع كما هو بكل بشاعته ، ونترك للناس ايجاد الحلول وتلك مهمة الفن . .

لندن الأخرى ،الجميلة

وبعيدا عن هذا كله ، عن زعيق مشردي الغواصة الصفراء ورقصهم واقبيتهم وجرائمهم ورائحة مخدراتهم ، يطل الوجه الآخر للندن ، المدينة العجيبة ، وجه مشرق

Akhawia.net

وانساني وفيه امثلة تحتذى . . . نفتقر اليها في عالمنا العربي ، وكنت احس بالغيرة كلما مررت باحداها . . .

ولهذا الوجه حديث آخر .

Akhawia.net

لندن ٢٧/ ١٢/ ١٩٦٧

الوجه الحسن لبريطانيا

قدمت السكرتيرة الى رئيسها طلبا بالسماح لها بالمجيء الى مكتبها في الثامنة والنصف صباحا بدل التاسعة كما هو الدوام عادة .

لماذا ؟ لانها قررت ان تتطوع بالعمل نصف ساعة اضافية كل يوم ، وبالراتب نفسه . وقوبل طلبها بالرضى والاستحسان . طبعا كانت مفاجأة ان تلغي الفتاة من ساعات راحتها ورقصها وحبها نصف ساعة تمنحها مجانا « للعمل » . . ثم ان الوقت هناك شيء ثمين حقا ، والجميع يعون معناه ، ويدركون حقهم المطلق في التصرف به . .

في اليوم التالي ، انضمت اليها خمس سكرتيرات في المؤسسة نفسها ، وتطوعن بنصف ساعة عمل اضافي يومية ومجانية . .

وبعد ايام ، قرر موظفو المؤسسة باكملها التضامن مع السكرتيرات الست ، وتطوعوا جميعا بالعمل نصف ساعة اضافية يومية . . . وذلك يعني الف ساعة يوميا من العمل الاضافي في مؤسسة تضم الفي موظف . . . اي ستة آلاف ساعة اضافية اسبوعيا . .

وسرت العدوى الى المؤسسات الاخرى ، الامر الذي يعود على الدخل القومي باكمله بالخير الكبير والتقدم . . .

ومنحت السكرتيرات الست (الرائدات) اوسمة قيمة تقديرا لوعيهن . . (خاتمة سعيدة كما في الافلام العربية) . .

وطبعا لم ارو هذه الحكاية تمهيدا (لربيورتاج) مصور اكتبه عنهن . . ولا يهمني كثيرا مصير السكرتيرات الست .

اهمية هذه الحكاية تقع في انها تلخص اتجاها جديدا في بريطانيا لبناء اقتصادها بعد ان وعى الناس انهيارهم على اثر (نكسة) الاسترليني . . . ولان الطريق الحقيقية للبناء هي بالعمل ، ولانه حري بنا نحن (المنكوسين) لاكثر من مرة ان نجد في تلك الحكاية الصغيرة الجواب الكبير والبسيط لمآسينا وأحد الحلول الاساسية لترميم (نكساتنا) . . ولكن هل تتابع بريطانيا الطريق ؟ هذا لا يهمنا الآن . المهم ان نتعلم نحن ونتابع

Akhawia.net

طريقنا .

***

عن لندن الاخرى اتحدث هذه المرة . . عن لندن الجميلة ، لندن الحقيقة ، لندن الانسان والحرية ، لندن الفن والفكر والمسرح ، لندن الطريفة والبريئة . .

لندن التي تشدني اليها ابدا اينما كنت . . .

ارحل عنها اليها . .

اغادرها ، ولكن تجدني ابدا راجعة . .

عن لندن المعتقة بالمثل والانسانية اكتب هذه المرة . .

عن عشرات الاشياء التي نحن بامس الحاجة لاستيرادها قبل افلام جيمس بوند واغاني (البيتلز) واخلاق (الجيرك) . .

الخبز مع الكرامة

ليس في بريطانيا رجل جائع الا اذا اختار هو ذلك للريجيم .

نظام الضمان الاجتماعي مطبق بطريقة انسانية (وعادلة) نسبياً .

يستطيع اي عاطل عن العمل ان يذهب الى اقرب مركز بوليس ، والدولة تدفع له راتبا اسبوعيا قدره ١٣ جنيها ريثما تتولى ايجاد عمل له . . وهذا بلا ريب امر رائع ينقذ المواطنين جميعا من القلق والرعب الدائم من الفقر ، وهو ضروري وان كان احيانا فريسة لسوء الاستعمال . . . والصحف تروي باستمرار حكايا طريفة عن رجال يتهربون من العمل لان الراتب الذي تدفعه الدولة (للبطالة) اكبر احيانا من الرواتب التي يتلقونها .

واعظم ظاهرة اشتراكية في بريطانيا هي ظاهرة تأميم الطب والعلاج المجاني لكل فرد من افراد الشعب وحتى للرعايا الاجانب المقيمين في بريطانيا . . وهكذا ، فان مرض اي فرد من افراد الاسرة ، لا يشكل كارثة اقتصادية قد تودي بهم جميعا الى هوة الفقر والعوز . . .

تستطيع ان تمرض هناك دون ان يتولى اي طبيب امتصاص دمك بلا رحمة ، ودون ان تنتقل نقودك التي جمعتها بالتعب والعرق لتكون ثمنا لأحذية حرم الطبيب المصون سيدة المجتمع المولعة بالتقاليع . .

الطبيب هناك طبيب حقيقي . انه غالباً موظف لدى الدولة التي تلعب بينه وبين الشعب دور الوسيط . له راتب ثابت . وكل مواطن يدفع ضريبة ثابتة من راتبه للضمان الطبي .

Akhawia.net

وفي حالات المرض ، يتلقى الدواء مجانا وتجرى له العمليات مجانا وبذلك تقوى الرابطة بين الفرد وبين الدولة لانه يحس في كل مناسبة ان نقوده التي تجبى ضرائبا تعود اليه والى اولاده ، وأنه لا يخرج من الصفقة خاسراً ، صفقة الخضوع للنظام والالتزام بالدولة . . .

وتأميم الطب هو التدبير الذي نفتقر اليه في بلادنا العربية ، وبواسطته يمكن اعادة الاعتبار لمهنة الطبيب الانسانية التي يساء استغلالها في بلادي . . . بذلك وحده نكف عن قراءة الخبر التقليدي : رجل فقير حمل طفله الى المستشفى في حالة خطرة فطلبوا منه ان يذهب لاحضار مئة ليرة (او ما شابه من المبالغ التي لا يمكن ان يملكها) والا فليعالج الطفل . . عزرائيل . . وغير ذلك من الفضائح . . .

العلاقة بين الفرد والدولة

الفرد هناك يحب الدولة لانه يحس انها تحبه ولأنها تقدم له أكثر من دليل على انها تعمل من أجله .

لا مجال هناك للاحقاد الشخصية . لا احد يجرؤ على الهرب من المسؤ ولية . اية شكوى ضد مسؤ ول تحظى برد عملي ، كما ان اي تهاون او اهمال يعتبر جريمة لانها خيانة غير مباشرة للواجب .

المطر مثلاً . لا يكف لحظة عن الهطول في لندن ، ولم يحدث قط ان تجمعت بركة من الماء حتى في القرى . القرى كالمدن من حيث التحضر ، ولكنها اجمل واكثر صفاء وهدوءا . القانون فوق الجميع ، ولا يمكن تجاوزه في اية حال . المحسوبيات غير موجودة على الاطلاق .

الفرد محبوب من قبل الدولة ، وفرديته مقدسة . ولا يمكن القاء القبض على اي انسان دون ادانته مهما كانت التهمة والا استطاع مقاضاة المسؤ ولين .

الفرد شيء مهم ، سواء كان طبيبا او محاميا مثقفا او عاملا بسيطا او خادما . . . العمل اليدوي هناك ثمين جداً ، ودخل مُصَلِّح الاحذية يعادل دخل موظف البنك لانه يقدم للمجتمع عملاً ضرورياً كأي موظف او مثقف .

الآلة رخيصة هناك والانسان ثمين . ليس للخدم وجود الا لدى الاثرياء جداً ، وهم هناك نوع من الموظفين . الخادم او الخادمة (بمفهومنا) شيء غير موجود هنا لان فيه سوء استغلال لطاقة بشرية من المواطنين . المواطن البريطاني محظوظ حقا في الحالات كلها . .

Akhawia.net

المواطن السجين لا يعتبر محكوماً (بالتجريد من الانسانية) ولا (مطرودا الى الابد) من المجتمع ، ولذا فالسجن هناك اصلاح فعلا لا مدرسة لتعليم جرائم اكبر ، والسجين حينما يخرج لا يقذف به الى الشارع وقد امتلأ حقداً على المجتمع وانما يهيأ له الجو الملائم للعمل من جديد ضمن مراقبة اجتماعية طيبة . . .

وللمواطن المريض ايضا (حصة) من كل شيء . . انه ليس مرفوضا لانه عاطل عن العمل مؤقتا وانما تكرس الجهود كلها لشفائه نفسياً وطبياً واعادته الى حظيرة المجتمع . . . وهكذا تكرس برامج تلفزيونية واذاعية خاصة ، وربما كان اجملها (مسلسل) إسمه (ملعقة سكر) والمقصود منه (بث الامل والبهجة في نفوس المرضى) . . . لماذا لا نستورد بعض حلقاته عوضا عن مسلسلات الجريمة ؟ . .

والمواطن البريطاني محظوظ حتى ولو كان قتيلا . . .

فقد كتبت الصحف (كما تفعل دائما) عن سقوط طائرة وكانت عناوينها تقول : مصرع ثلاثة من الرعايا البريطانيين . . . ونفاجأ حينما تتحدث تفاصيل الخبر عن مصرعهم مع مئة من بشر آخرين (ليسوا بريطانيين) . .

نحن في بلادنا نستهتر غالباً بالفرد العربي . . . ان نزفنا البشري لاسباب سياسية او اجتماعية امر لم يكف منذ سنوات في اكثر من قطر . .

ان استهتار اكثر السلطات بالفرد العربي واضح في المجالات جميعا . . كثيرون بلا جنسية او هَجَروا جنسياتهم او أُرغموا على ذلك . . . الفرد في بلادنا لا يحس بتبني السلطات له او لمصالحه او باحترامها لضرورات عمله او تنقله . . . وهو لذلك لا يحبها ولا يثق بها ولا يتعاون معها ، وكل ما يتمناه هو ان تنساه وان تتركه بسلام . . .

الحرية ، الحرية ، الحرية

الحرية ، حرية القول والعمل مؤمنة للجميع ومقدسة ، ومن يحرم الناس منها يعاقب ، كما يعاقب من يسيء استعمالها . . .

الحقيقة يريدها الناس هناك دون ان يثوروا عليها مهما كانت قاسية ، والحكام يقولونها غالباً للشعب ، والصحافة تتولى ذلك وتعتبره واجبها الاول . .

(نحن نؤيد اي مسؤول يؤمن بان الحقيقة يجب ان تقال للناس دوما مهما كانت قاسية . نحن نؤيد اللورد روبنز وزير المناجم ، الذي لم يخف حينما وقف يخبر عمال التعدين ما سيحدث لصناعتهم بعد ١٢ عاماً وكيف ان خمسة عمال من كل ستة سيكونون عاطلين عن العمل عام ١٩٨٠ ، وكيف ان عددهم الذي يربو اليوم على ٣٨٧ الف عامل

Akhawia.net

لن يكون سنة ١٩٨٠ اكثر من ١٥ الف عامل ! وسيكون الباقون جميعاً بلا عمل .

لا شك في انه من الافضل ان نعرف الحقائق كي نتمكن من مواجهتها مهما كانت مؤلمة . انها مأساة . سيقف الشعب باكمله الى جانب العمال لحل الكارثة الصناعية المقبلة) . . .

هذا نموذج رائع للانسجام والصدق في التعامل بين الحاكم والصحفي والفرد التقطته من احدى الصحف اليومية وهزني . .

الحصانة (الادبية) والفكرية :

والحرية هناك عادة . . . حرية التفكير شيء طبيعي ، وليست ثورة كما هي عندنا . .

و (اوثان) الفن الذين طالما منحوا الجماهير عطاء كبيرا واحبتهم الجماهير ، لا يمكن ان يتمتعوا (بحصانة) فكرية كما هو الحال عندنا ، وانما يتعرضون لهجوم الصحافة ونقدها متى أسفّوا . . .

وفيلم شارلي شابلن الاخير (كونتيسه من هونغ كونغ) الذي تمثل دور البطولة فيه صوفيا لورين كان موضعا لنقد لاذع قاس ، ولم تلعب شهرة شارلي شابلن او ماضيه دور الشفيع لذلك ، وقال النقاد (لماذا انتظر شارلي شابلن اكثر من عشرة اعوام ليقدم لنا فيلما كان يصلح للعرض قبل ثلاثين عاما) . . .

اما في بلادي ، فان من يكرس اديبا او فنانا ذات مرة ، يحتفظ بلقبه الى الابد ، وينال حصانة ادبية اسمها (الاديب الكبير) ، ولا يجرؤ اي انسان على نقده اذا اصدر اثراً اثبت فيه انه فقد قدرته على العطاء واصبب بالتحجر والجمود . . . واذا تجرأ احدهم ونقده ، فمن خلف اسم مستعار . . . كما فعل الاسم المستعار (فارس فارس ـ اي غسان كنفاني ـ الذي تجرأ في صفحة الانوار الادبية وانتقد كتاب الشاعر امين نخلة الاخير . تراه كان قال لولا الاسم المستعار : كان امين نخلة في كتابه الاخير ثميناً جداً ، كالتحف الاثرية العتيقة !) . . .

لندن الفن والفكر :

في هذه المدينة يجد الانسان نفسه مضطرا الى ان ينضج ويتثقف مهما قاوم ذلك !

انه مرغم على ان يتعلم ويفهم ويرى . ان الثقافة تحاصره وتلاحقه ولا يستطيع ان ينجو منها .

في لندن كل شيء . مسرح قديم . مسرح حديث . لا مسرح . مسرح شكسبير .

Akhawia.net

سينما . مئات من دور السينما تعرض انواع السينما كلها ، قديمها وحديثها ومستقبلها ! . . .

واذا استطعت أن تهرب من المسارح المنتشرة في لندن انتشار المطاعم في بيروت ، فانك قد تدخل الى احد المطاعم او الخمارات وتظن انك قد نجوت من (الفكر) واذا بك تفاجأ بمسرحية تعرض . .

هناك عدد من المطاعم والملاهي الراقية التي تقدم مسرحية رائعة بدلا من (وصلة هز بطن) . . .

وقد تدخل صالة فخمة على بابها مجموعة من المجوهرات وتفاجأ بانك في معرض فني لاحد الفنانين . . . والمعارض الفنية هناك متنوعة ، كان اجملها معرض للوحات (المجانين) اعتقد انها ارقى ما شاهدت طول حياتي (شاركني الرأي محرر الاوبزرفر الفني وافرد لها خمس صفحات كاملة !) ، ومعرض للوحات الاطفال ايضا اخترت واحدة منها لتكون طابعا للبريد . .

وحتى لو استطاع احد ان ينجو بجهله من الحصار الفني والفكري الذي تفرضه لندن على كل زائر ومقيم ، فانه سيسقط في شرك (التوعية) اذا ذهب آمنا مطمئنا ليشتري طابع بريد ! . .

اذ اصدرت بريطانيا سلسلة من الطوابع اسمها « سلسلة الفن » وهي تحمل صور اجمل اللوحات الخالدة لكبار عباقرة الرسم ! . .

الموسيقى والخبز

قبل ان يتناول الطفل هناك قضمة الخبز الاولى في حياته ، تحمله الام معها الى صالة من صالات الاوبرا العديدة التي تمتلىء لندن بها . . . او الى احدى الحفلات الموسيقية الاسبوعية التي تقام في الحدائق العامة وتعزف فيها اروع السمفونيات لكبار الموسيقيين الخالدين . . ان الامر يستدعي الغيرة حقا . . . لقد نشأنا جيمعا في مدن لا تضم صالة موسيقية واحدة . . . حفلات اضواء المدينة هي ذروة طموحنا (الطربي) هنا . . . وفيها كل شيء ما عدا الطرب . . .

احبها رغم كل شيء

بلادي ، احبها وحدها ، رغم كل شيء . . . احبها اكثر كلما وعيت نقاط ضعفها . . يمتزج حبي لها بالاحساس الكثيف بالمسؤ ولية نحوها . . واستمتاعي بلندن الفكر والفن والانسان يشوبه دائما ألم مرير لان ذلك لا يدور في بلدي ، ولان ملايين من ابناء قومي لا يشاركونني فرحة اكتشاف اشياء انسانية جميلة وكثيرة . . ولاننا جميعاً لا نكبر

Akhawia.net

في مناخ حضاري مناسب . .

لذا ، ذات ليلة . . . وبعد يوم قضيته مع روائع قدرة الانسان على الخلق الفني والفكري والموسيقي (اظنني شاهدت يومها معرض بيكاسو في « التيت جاليري » ، وفيلم « يوليسيز » لجيمس جويس ، ومعرض « البيت المثالي » الذي اقامته « الديلي ميرور » ، وحينما ذهبت لاستريح في حديقة « الشيبردز بوش » العامة ، فوجئت بالحان تشايكوفسكي تغمر العالم ، تعزفها فرقة سيمفونية حاذقة ، مجانا ، للجميع) . .

احزنني ذلك واثار مرارتي حتى الانفجار . . زحفت ايامي المشحونة فنيا في لندن داخل راسي قبيلة من الوجوه المحملة بالذكريات . . تذكرت امسياتنا الضائعة في مدننا الغالية التي لا نملك الا ان نعود اليها ابدا . . الى هناك تشدنا قيود لامرئية وطويلة ويمكن ان ندور بها العالم ، لكننا دوما نعود الى هناك ، كالنعاج المنومة مغناطيسيا ، لا مفر من ان نعود ، لان المسلخ في بلادي أحب الى نفسي ـ رضيت ام كرهت ـ من متاحف اوروبا كلها . .

احزنني ذلك واثار مرارتي حتى الجنون . . لذا ذهبت الى مدينة الملاهي .

اذ ، لم تكن هنالك اية وسيلة اخرى ، كي اصرخ بملء فمي ـ فعلا لا مجازا ـ وفي قلب مدينة لندن ، ودون ان يقبض البوليس علي او اساق الى مصح عقلي . .

اخترت اشد الالعاب اثارة للرعب . . . ووجدت في ذلك ذريعة لاصرخ واصرخ واصرخ ، والناس حولي في دهشة من امري (لماذا تصر على ركوب هذه اللعبة اذا كانت تخاف الى هذا الحد ؟) .

قضيت نصف الليل اصرخ . ونصفه الباقي ألملم اوراقي وامتعتي .

وفي الصباح ، تذكرة طائرة . .

ورجعت . . .

Akhawia.net

عمان ٥/ ١/ ٦٨

وماذا بعد يا جسر الفرار

وماذا بعد ؟

كففت فجأة عن المشي . اطفأت المصباح الصغير الذي كنت احمله في يدي . انهرت جالسة على التراب تحت جبل الظلمة والبرد ، ومشاهد اليوم الطويل . .

تحسست جسد التراب . كان نديا ، وخيل الي انه ينبض تحت يدي ، وانه دافىء وتفوح منه رائحة الدم . غمرني حب للارض لم اعرفه من قبل ، اذ ، على بعد امتار مني ، على الضفة الثانية من النهر ، لم يعد بوسع احد منا ان يرفع صلاته الصامتة لجسد ارضه دون ان يتعرض لرصاصة تثقب رأسه مع تحيات اسرائيل . . .

حولي في هذا الغور ربع مليون انسان ، ارغموا على النوم في العراء ، وبيوتهم على مرمى حجر . وذلك كل ما استطيع ان افهمه من القضية وانا هنا . .

جئت اقضي الاعياد هنا ؟ ها . . نسيت ، ما اسم اليوم ؟ ما التاريخ ؟ .

وماذا بعد ؟ . .

سؤ ال حملته معي من لندن ، سكينا مغروسة في الحلق ، وعدت به الى بلادي بحثا عن جواب ، وطرت به الى عمان بحثا عن جواب ، وقضيت يومي الأول عند « جسر الفرار » اتحدث الى الذين تركوا ارضهم وجاءوا ينضمون الى زارعي الخيام هنا . . وتلصصت عبر فوهات بنادق الفدائيين ابحث عن جواب . . .

وماذا بعد ؟ . .

ماذا بعد نصف عام من الهزيمة ؟ . .

هل يمكن ان يكون هذا كل ما تبقى ؟ صوت السعال وبكاء الاطفال في الليل ، معسكرات لغسل الدماغ الفلسطيني تسمى مخيمات ؟ . .

وفجأة ، دوى صوت انفجارات صغيرة متلاحقة ، وعلى الضفة الثانية للنهر رأيت الاضواء الكشافة تتوهج وتدور بعصبية عيني وحش اهوج ، يبحث عن فريسته (بحرارة أصلي ، ايتها الارض ، احمي فدائييك) . وفي ذلك الليل المشحون بالتوتر والترقب ، المزروع بالجان ـ الذين يسمون فدائيين ـ بدأت اقرأ اولى سطور الجواب المرير الكبير ، بينما عادت احداث اليوم الطويل تنزلق داخل رأسي . .

Akhawia.net

عمان . . . لم اتجول في شوارعها بعد . مررت بها في السيارة المنطلقة بسرعة باتجاه الاغوار . كانت تبدو حزينة ولها كآبة جسد يتنفس برئة واحدة ، بعد ان فقد الرئة الثانية : الضفة الغربية . .

مرت السيارة باحد الاسواق . استطعت ان اقرأ اللافتات على الابواب : « توكلت على الله » ، « وما توفيقي الا بالله » ، « ما شاء الله » . . . « الملك لله » . . . اذن هي مدينة اخرى كدمشق والقاهرة والقدس ، كالمدن العربية التي عشت فيها طويلا .

واحسست انني اعرف عمان رغم يومي الاول . .

وتساءلت : لماذا لا اقرأ على الواجهات شعائر اخرى دينية تحض على العمل ، وتحمل الانسان المسؤ ولية وديننا يزخر بها ؟ . . . لِمَ اخترنا تلك ، ومارسناها على طريقة (لا تقربوا الصلاة) ، ولم نضف (وانتم سكارى) . . .

نعم . توكلت على الله . ولكن الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه .

حسنا . وما توفيقي الا بالله . ولكن صيحة « الله اكبر » في الحرب كان يرافقها دوما يد تضرب بالسيف . نعم . « ما شاء الله » يقع ، لكن الله شاء ايضا ان نعقلها ونتوكل ، لا ان نهرب من المسؤ ولية تحت ستار القدرية .

انا ضد الانسحاق بالفهم الخاطىء للدين . انا ضد سوء تأويل الحضارة الاسلامية وتحويلها من محرك بناء خلاق الى مخدر لاوجاعنا .

من الجسر الى القبر

هذا هو الجسر . يسمونه في الصحف الغربية : جسر الاحزان ، فكل انسان يعبره من الضفة الغربية هناك الى هنا ، يجيىء وسط الدموع حاملاً معه الى الابد مأساة مريرة . . .

وصوب ابو طلال عدسته باتجاه الارض المحتلة ، بينما كانت قافلة جديدة من النازحين تتأهب لقطع الجسر متجهة الى المقبرة الكبيرة : الى المخيمات ، لتقيم شاهداً يسمونه خيمة . . . وفي القاع يجري نهر الاردن ويحمل معه اسرار الفدائيين الضفادع الذين يقطعونه كل ليلة . .

جسر الفرار

جسر خشبي لا يتجاوز عرضه العشرة امتار ، وفي منتصفه ربطة من الاسلاك الشائكة تفصل بين الارض العربية والارض المحتلة .

وتروى عشرات الحكايا عن هذا الجسر . . يقال ان مجندات يرتدين الميني جوب يحرسنه . (احتجاج الرواة على الميني جوب اكثر مما هو على عدم وجود مجندات

Akhawia.net

عربيات !) . وآخر الحكايا كانت عن فتاة عربية جميلة وقفت على الجسر وتحرش بها مجند اسرائيلي ، مما اثار اخاً عربياً . وتطور الحادث الى تبادل اطلاق الرصاص . ادهشني اننا ما زلنا نثور من اجل « شرف البنت » ولا نثور من اجل « شرف الارض » .

اسميه « جسر الفرار » ، لا « جسر الاحزان » ، بانتظار ان يصبح « جسر العودة » .

كان يحرسه فتى اسرائيلي ، ربما صدرت الاوامر اليه ليبدو بمظهر المستخف ، فقد كان يمضغ « العلكة » ويصفر برتابة ، تثير الاعصاب ، لحنا عاطفيا لأزنافور ، ويرمينا بنظرات لا مبالية . . وحتى حينما وصلت سيارة اجرة ، وهبط منها اربعة اشخاص ساروا فورا نحو الجسر ظلت نظراته لا مبالية . تركهم يسيرون بضع خطوات فوقه ، ثم صرخ بهم ، واقترب منهم مشيرا ببندقيته الى مركز للتسجيل تحت شجرة قرب الجسر ، فاتجهوا عائدين نحوه . . .

ووقفنا على الجسر ننتظر قافلة النازحين الجدد ، الذين لم يتوقف تدفقهم منذ الحرب الاخيرة . . . « اسرائيل » مستمرة في خطة « تهجير » العرب ، والحاحها على ذلك يكفي دلالة على اهمية مقاومة ذلك . . .

وصلت قافلة النازحين الاربعة . كانوا رجلين وامرأة وطفلة .

في البداية ظننتهم اسرة . حين اقتربت منهم لاحدثهم اكتشفت ان احدا منهم لا يعرف الآخر ، وان لهم وجوه بشر ، ماتوا للتو ، لولا الرعب المرتسم في عيونهم . كان واضحا انهم لا يعرفون اين هم ومن نحن ، وكانت نظراتهم الخائفة تنتقل بين وجوهنا بذهول محتار . . كان واضحا انهم لا يسمعون شيئا نقوله ، وانهم ينقلون نظراتهم بين وجهي ووجوه رفاقي ، وانهم يتأملون ملابس الجنود ، وشارات قائد الحامية الاردنية التي تحرس الجسر ربما ليتأكدوا من انهم غادروا « اسرائيل » فعلا ، ونهائيا . .

« اسرائيل » ؟

لا يوجد شيء اسمه « اسرائيل » ، على الاقل في اذهانهم هم . هنالك ارضهم ، وبيوتهم ، وهنالك من طردهم منها ، وها هم يغادرونها احياء مستسلمين الى ارض اخرى . . .

ارض عربية ؟ . . . نعم . ولكن العروبة يجب ان تكون زحفا الى فلسطين لا نزوحا عنها . . مدا الى ارضها ، لا هربا منها . . ميثاقا على التضامن لا اغراء بالاتكالية والتخاذل . .

Akhawia.net

هدأنا من روعهم ، (سأسأل الاول ما اسمك ؟ ما اسمه ؟ ما الفرق ؟ انه عربي آخر ربما أجدى له ان يموت في الداخل مواطنا لانني اعرف كيف سيموت في الخارج نازحا . ألم يتعلم العرب شيئاً من مأساة ١٩٤٨ ؟ والبؤساء في فلسطين المحتلة ، ألم يسمعوا بمأساة البؤساء اللاجئين الى البلاد العربية التي يحتلها الجهل وسوء التصرف والتشتت وآلاف العوامل الاخرى التي تنخر في جسدها وتجعلها بعد انقضاء عشرين عاماً على الصدام الاول مع « اسرائيل » ، تصمد وقتاً اقل ، وتهزم بمزيد من الاذلال ؟؟) . .

ـ ما اسمك ؟ (كنت اعرف انه سؤال سخيف ، لكنني كنت مضطرة لان اقول شيئاً ما بسرعة) .

ـ عمرك ؟

(لم انتبه الى رده) .

ـ ماذا تفعل هنا ؟

(كان ذلك فقط كل ما يهمني ان اعرفه) . . .

لم يرد . فتح كفه .

في يده اثر جرح لما يندمل بعد . في يده اليمنى التي لا اظن انه سيكون قادراً على استعمالها ابدا .

ـ مهنتك ؟

ـ دهان !! . . .

ـ ماذا تفعل هنا ؟ . .

ـ هدموا داري .

ـ والارض ؟

ـ انا جائع .

لم يكن جائعا فقط . كانت في عينيه نظرة نائية كتلك التي تطل من عيون المصلوبين . كل ما بقي له في الدنيا عنوان لقريب له في عمان . غدا يحل عنده . « الافواه اللامجدية » تتكاثر . عدوى وباء الذعر والهرب تنتشر . وماذا بعد ؟ . .

المرأة ، تشد طفلتها اليها كلما واجهت سؤالا محرجا . طيلة اجيال ربينا المرأة على الاحتماء بالامومة هربا من انسانيتها . . وهي اليوم تواجه الكوارث بهذا الاسلوب . . . هاهي تقف امامي . صحتها جيدة . امرأة تصلح للقتال ، ذكية في تمثيلها لدور المستكين ، منذ اللحظة الاولى تلعب الدور الذي اعد لها ، دور اثارة شفقة العالم . .

Akhawia.net

هذه المرأة ، نصف مجتمعنا العربي ، ما الذي يحول بينها وبين ان تثور لكرامتها المهدورة كمواطنة ؟ ماذا سوى عصور من تكريس التخلف بالف حجة وحجة ؟ .

سألتها عدة اسئلة . انها خائفة وتريد ان تذهب ، وبسرعة . كنت اعرف سلفا ما يمكن ان تقوله . . لها زوج في مكان ما ـ في السعودية ـ وقد (طلبها) . . هذا جميل . تراها تشعر بشيء من الاحساس بالذنب لخروجها ، كي تبرره دون ان يطلب احد منها ذلك ؟

الطفلة اعجبتني . ضايقها تمسك امها بها . وقفت ترقبنا راكضة في شرود متمرد . وقفت ترقبنا باعين متحدية ، ويبدو اننا اثرنا ضيقها فاستبدلتنا بمجموعة من علب التنك الفارغة تضربها بعضا ببعض . . . تراها تعرف منذ الآن اننا جيل التنك الفارغ ، قضينا عشرين عاماً من تصادم ارعن كان دوما من نوع اصطدام التنك الفارغ بالتنك ؟ . . وان على جيلها ان ينمو بعيداً عن امراضنا ؟

الفتى عمره من عمر الهزيمة الاولى ، وفي وجهه الكثير من معالمها . .

انه وحيد ، بلا اهل . لا احد . وحتى بلا حقيبة ثياب . لا ، الحقيبة الكبيرة التي يحملها ليست له . انها للمرأة ، وهو لا يعرفها . التقوا في السيارة التي اقلتهم الى « جسر الفرار » . تشدهم رابطة الفرار . . . (لماذا لا تحمل هذه المرأة امتعتها ؟ ربما عندئذ ، سيتساءل الفتى عما يفعله بذراعيه القويتين) . . .

احسست انني اشهد حلما مزعجا ، او مسرحية من ذلك النوع الذي يعري لك اعماقك ، بينما يتحرك ابطاله ببساطة تشبه السذاجة .

سيارة اخرى . . . مجموعة جديدة من النازحين . . حوار آخر . . لماذا جئتم ؟ ماذا تنتظرون ؟ . . . اجوبة اكثرها من نوع الشعارات . لقد دفع المواطنون العرب ضرائبهم طيلة عشرين عاما من اجل اذاعات ساهمت في تربية لغة جديدة للفرد العربي : لغة الشعارات . . . بدأ سوء التفاهم يأكلنا ، وربما العجز عن التفاهم . صارت الكلمات لا تعني شيئاً حقاً .

وسيارة جديدة . .

كانوا هذه المرة مجموعة من الاطفال ، ووالدهم شيخ مسن ، وقد جلسوا جميعاً في مؤخرة سيارة شحن تحمل بعضا من اثاثهم . . .

اجتازت سيارة الشحن الجسر ، ووقفت برهة ريثما ينزعون رقمها المعدني الاسرائيلي ويضعون بدلا منه (نمرة) اردنية . اهذا كل ما استطعنا ان نواجههم به؟ . . لم

Akhawia.net

التفت ناحية الجسر ، كنت اشعر بان الجنود الاسرائيليين يرقبون ذلك بسخرية ، واحسست بنظراتهم تخترقني استخفافا . . ثم ما جدوى ان نسأل ونكتب ونرحل . .

ـ لماذا جئتم ؟ . .

كان رده هذه المرة من نوع جديد ، بسيطا ومباشرا : « انا من القدس . . من حي (. .) . تاجر . . انذروني باخلاء بيتي في السوق ، هدموا البيت المجاور وجاء دوري . . سيجيء دوركم جميعاً . . . انكم لا تعرفون ان دوركم سيجيء . . . لم يكن لدي سلاح لاحارب .

نعم . سيجيء دورنا جميعا . جراراتهم التي تهدم البيوت في القدس ستتجه خلال اعوام نحو بيوت عمان ودمشق والقاهرة وبيروت وبغداد . . انها ليست مأساته وحده . . انها مأساتنا أكثر مما هي مأساته ، لاننا ما زلنا لا نعرف ، واذا كنا قد عرفنا نواياهم التوسعية فما زلنا نتصرف كما لو كنا لا نعرف . .

كان الشيخ يتحدث بصوت غريب ، وجهه مهدم ، وفمه خال من الاسنان . . احزنني فعلا ان تتشرد شيخوخته . شيء واحد اضعف امامه ، منظر الشيخوخة البائسة الذليلة . انها تؤلمني اكثر من مشهد الطفولة البائسة . شيء آخر هزني في هذا الرجل . لهجته في الكلام تشبه لهجة فقراء دمشق . . اسلوبه وصوته وصراخه . . . انتهوا من تبديل اللوحة المعدنية للرقم . سارت السيارة به ومازلت ذاهلة . . .

(ستتقدم الجرارات في شوارع بيروت . في سوق المعرض . في شارع بلس حيث كنت أدرس بالجامعة الاميركية . وأسكن . سأكون ساعتها في الدولشي فيتا مع بقية الشلة ، او في الهورس شو ، نتحدث عن الله والوجود وابعاد النكبة) . . .

ان شيئاً ما يجب ان يتبدل . . اشياء كثيرة يجب ان تتبدل . . . يجب ان يعاد النظر في التنظيمات كلها ، في الانظمة كلها ، يجب ان يعاد بناء كل شيء من جديد على هدي مبدأ واحد

لا مفر من ان نستعد للحرب كي نمتلك السلم .

فلسطين لم تعد قضية العرب جميعاً من باب (العنترة) او على طريقة : « امجاد يا عرب امجاد » ، وانما هي قضيتهم جميعا ايضا من باب الانانية . حب الذات . الحرص على الحياة . الحرص على البقاء . ببساطة اكثر ، من باب الوقوف ضد الجرارات التي يخطط لها منذ الآن لهدم بيوتنا . .

سواح فوق الجسر

سيارة جديدة . هذه المرة ، هبط القادمون في قفزات رشيقة . رحب بهم بعض

Akhawia.net

الجنود الاسرائيليين وعادوا فوراً الى مراكزهم ، واختفوا بين الاشجار . هذه المرة لم يتم تسجيل اسمائهم في مركز (الترحيل) ، وانما حلوا ضيوفا على الجسر ، وعلى الرحب والسعة .

وجوههم تدل على انهم من الالمان . قال لي احدهم فيما بعد انهم من زوريخ . حديثهم مع حارس الجسر كان ودياً جداً الى حد يثير الدهشة ، كما لو كان ربيبهم . . . همس رفيقي في اذني : انظري الى سلاحه . . انه من صنعهم . .

وقفنا جميعاً في منتصف الجسر نتحاور . . في احاديثهم سخرية مبطنة . قال لي احدهم : سمعنا بأن لديكم اغاني فولكلورية جميلة . . . نريد ان نسمع منك بعضها . . .

ـ اهدونا لعبا كتلك اللعبة وسنسمعكم اجمل الاغاني .

ـ لعبة ؟ اية لعبة ؟ . . .

لم أجب. كانت عيناي معلقتين بسلاح الجندي الاسرائيلي ،وكذلك نظرات مرافقي . وكانت لعبة جميلة حقا تلك التي زودتهم الانظمة بها ، في عيني شهوة حقيقية الى ان يكون ذلك السلاح لي . . .

(في ليلة مظلمة ، سيقفز فلسطيني من احدى الشجيرات كنمر . في لحظات سيكون الفتى مرمياً على الارض ، واللعبة الجميلة في يد الفلسطيني . وسيختفي بها في قلب الظلام . . . حتى السلاح لا مفر من ان نسرقه لندافع عن ارضنا . . . ننفق الملايين لايصال التفاهة الينا واستيراد ارخص بضائعها وعرضها عن طريق احدث الاختراعات العلمية كالتلفزيون ولا نعرف كيف ننفق لايصال السلاح لايدي العزل الذين يحاصرهم الموت ويفتك بهم الوباء) . . .

بناء صغير يطل على الجسر والنهر ويستعمل شبه (برج للمراقبة) ومكانا للاستراحة . حييت عن بعد عدداً من الجنود العرب الذين يقضون اوقاتهم في انتظار (الحرب) . . وحملت الي الريح صوت ام كلثوم ينشد عبر المذياع وتبينت انها ربما كانت تغني (الاطلال) . . . كانت تقول : « وقسوة التنهيد » . . . وللمرة الثانية في حياتي احسست انني لا احب ان استمع اليها . . . واحسست انني مفجوعة بنفسي لانني احبها (عاطفياً) رغم رفضي الكبير لما تمثله (منطقياً) . . . امام جسر الذل ، جسر الفرار ، تمنيت ان اسمع صوتاً جديداً ، كلمات جديدة ، لحنا جديداً ، تمنيت ان اصير انسانة جديدة على مستوى النكبة ، انسانة لا تهزها آهة ام كلثوم المحرورة لقصة حب واطلال

Akhawia.net

حبيب . . . تمنيت ان اسمع آهة من نوع جديد ، لقصة شعب واطلال مجد . . .

ام كلثوم اكرهها احياناً لانني اعي معنى حبي لها . لانني بحبي لآهاتها على طول ساعات ، اكتشفت ذلك الجانب العاطفي من شرقيتي . . ذلك الجانب الذي يجب ان (اهجره) والا واجهت ذات يوم مرحلة التهجير التي تعاني منها الدفعة العربية الاولى في برامج « اسرائيل » : الدفعة الفلسطينية . .

مراكز غسل الدماغ

المفروض ان اسمه « مخيم الكرامة » . . وقد ادهشتني التسمية وصدمتني . فأنا اؤمن بان آخر مكان يمكن ان تربى فيه « الكرامة » هو المخيم ، الا اذا كان معسكراً للتدريب على حمل السلاح تأهباً للعودة والانقضاض . . .

مخيم الكرامة . . مخيم دامية . . . مخيم زيزياء طار في الريح والعواصف ، وتم نقل اهله الى وادي الاردن . . . مخيمات للاجئين . . . خيام . . . خيام . . . سعال في الليل . . . بكاء اطفال .

سرت طويلاً بين الخيام . دخلت كثيراً من الخيام . تمنيت مرة ان يطردني شخص من خيمته ويقول لي : اخرجي هذا وقت نومي .

كان ذلك يمكن ان يشعرني بأنه على الاقل يحس انه يمتلك خيمته والارض التي نصبت فوقها . . .

تمنيت لو يتجمع الاطفال حولي ، ويرمونني وقافلة الفضوليين التي ترافقني بالحصى والحجارة (لا اقول بالبيض والبندورة ، هذا ترف برجوازي هنا ، ربما لم يذوقوا البيض منذ اشهر) ، ويطردونني من (حيهم) . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . . .

وكان ذلك اول ما صدمني . . . كنت اظنني ساضطر للمبيت بينهم اياما كي يفتحوا لي قلوبهم ويتحدثوا عن مآسيهم . . ولا ادري لماذا شعرت بانني بين فريق من الناس تدرب على ان يقول الشيء ذاته ، ويروي مأساته بالعبارات نفسها لاي عابر سبيل . . . كما لو كان يتقاضى طعامه ثمناً لذلك . . . وهو لذلك لا يرفض ولا يقاوم . . .

ـ من اين انت ؟

ـ من مكان ما في الضفة الغربية (نابلس ، القدس ، . . .)

ـ لماذا انت هنا ؟

ـ اليهود .

Akhawia.net

ـ لماذا لم تحارب ؟
ـ لم اكن مسلحاً .
ـ لماذا لم تبق ؟
ـ قتلوا جاري .

لكل منهم جار مقتول ! الشائعات لعبت دوراً لا حد له في هزيمتنا . الشائعات التي نسلطها عادة سلاحا اجتماعيا ضد بعضنا البعض ، وجدت فيه « اسرائيل » اداة جاهزة لاستعمالها ضدنا . . كنا دوما ننقل الشائعات التي تروجها بامانة . . عم الرعب . ساد الهلع . غادروا الدار الى الجنة الموعودة ، جنة انتقام العرب لهم . . ترى هل سنخذلهم عشرين عاما جديدة ؟ . .

الفراغ ، ورمضان كريم

الصورة التقليدية التي حفظناها عن الخيام يجب ان تتبدل .

المخيم ليس عددا من الخيام تقطنها قبيلة من البشر تعتبر ورقة رابحة في لعبة سياسية يتنافس الزعماء على كسبها . .

المخيم ليس معرضاً للبؤس الانساني مفتوحاً على مصراعيه لكل فضولي وصحفي وعابر سبيل . . .

المخيم ليس وثيقة (بؤس حال) في يد الدول العربية تلوح بها في المحافل الدولية .

المخيم يقام أصلا كمأوى موقت للبشر ريثما تتم مساعدتهم على العودة . ولما كنا لا نعيش في العصر الحجري ، ولما كان السلاح شرطا اساسيا للحرب ، اذن ، لا مفر من (المغامرة !) وتسليح اهل المخيمات ! . . والا ، فمن الافضل اطلاق الرصاص على كل نازح فوق جسر الفرار ، ففي قتله الفوري موقف انساني اكثر مما في قتل كرامته التدريجي في مخيمات الكرامة ، في كافة الاقطار العربية . . .

مخيم (الكرامة) الترابي

وفيه عدد كبير من اللاجئين من عام ١٩٤٨ . وهم يقطنون خياما من التراب (من المفروض انها بيوت . متى كانت الجدران تكفي . . اين الجذور !) . .

القرية صورة مصغرة عن اية قرية عربية اخرى خاملة ، غارقة في الجهل حتى العجز عن استيعاب مأساتها . . .

انهم يصومون ويصلون ويستمعون الى الاذاعات العربية ويصدقون كل ما يقال

Akhawia.net

لهم ، وهم مسالمون ، وفي قاع عيونهم حزن عتيق كذلك الحزن الذي يطل من عيون الاسود التي تم ترويضها منذ زمن طويل ، وقضت اعواما في السيرك حتى اعتادت نظرات الناس . العمل الفدائي وحده يمكن ان ينقذهم . . وينقذنا . .

وفي سيرك الامة العربية ، تم (تدجين) بعض اللاجئين طيلة عشرين عاما ، وتم غسل دماغهم من صفات انسانية كثيرة ، اهمها التحمس او التحفز لعمل شيء ما . . . انهم يروون مأساتهم ببساطة ، كما لو كانت درسا حفظوه ، ويرموننا بنظرات شبه حاقدة ومحتقرة تطل من عيون يصعب ان تلمح دموعها . . عيون كعيون المهرجين ، عميقة وغامضة وتخفي مأساتها كي تدفع ضريبة الحياة . . . لا ادري لماذا احسست ان اللاجيء انسان مجروح ، مجروح جدا من العرب ، والى حد انه لا ينبس بكلمة تشير الى ذلك . . . حينما يردون على اسئلتي ، اعرف سلفا ما سيقولون . . انهم لا يثقون بنا ، ويشعرون باننا لم نفهم مأساتهم ، واننا اسأنا لهم ، واننا لا نستحق ان يفتحوا قلوبهم لنا . . . انهم يقولون لنا بالضبط ما هو مطلوب سماعه عادة ! . . انهم يردون الينا بضاعتنا التي لم نمنحهم سواها . . . ولانهم يشتركون معنا (كعرب) في مرض الجهل وربما الامية ، لذا فان ذلك كله يتم بصمت ، ويعبرون عنه بصورة عفوية ربما دون ان يعوه تماما . . .

كان صوت المذياع يعلو في ازقة القرية . تلاوة القرآن قبل الافطار . . الاطفال يركضون . . . عشرات من الاطفال . . مئات من الاطفال . . كل رجل اقف لاحدثه تلتف حوله قبيلة من الاطفال وكلهم اولاده (ماذا سوى الجنس يهربون اليه في ليالي البرد والهزيمة والخيبة . . حينما تسكب السماء امطارها ، وتتسلل ريح الصقيع عبر النوافذ المحطمة ، ماذا سوى الجنس يخدرهم ؟ وحينما ينطفىء المصباح وتفوح رائحة الكاز في الظلمة ويسعل طفل الجيران ويموت تدريجيا كل امل في العودة ، وتنبح الذاكرة فتمزق النفس التي تحكمها قوى خارجة عن ارادتها وتعجز عن فهمها ، ماذا سوى جسد المرأة ، ذلك التخدير العجيب ، اللذة الوحيدة التي لم يفقدوها بعد في هذا العالم الوحشي ، بل ربما زادتها النكبات مدلولا وامتاعا) . .

وهكذا ، مع الجهل ، تدل الاحصاءات على تضاعف لا حد له في ارقام المواليد . . اجيال جديدة تفتح عينيها في مكان حزين اسمه مخيم الكرامة . .

تحدثت الى عدد كبير منهم . التقطت عشرات الصور . ارهقت مرافقي حتى الاعياء . . من هذا كله ، اختار جوابا واحدا نموذجيا لسؤال نموذجي . .

سألته : متى تعود ؟ . .

Akhawia.net

قال : حين يشاء الله . .

وتركني وانضم الى حلقة ينظم فيها احدهم ملحمة عن ضرورة الصيام . . . تمنيت لو يقول لهم انهم على سفر . . وانهم في حالة جهاد مقدس . . . وان بيوتهم خيام طينية . . تمنيت ان يفجر جراحهم بدلا من ان يساهم في تخديرها ، كأن يروي لهم مثلا هذه الحكاية : مر احد ائمة المسلمين باعرابي يصلي بحرارة والدموع تغطي وجهه . سأله . ما بك ؟ اجاب : ناقتي مريضة وانا اصلي كي يشفيها الله . . . ولما كانت الناقة مصابة بالجرب ، قال له الامام اطلها بالقار ثم صل .

ومع ذلك، كيف نلومهم ونحن لا نمنحهم الفرصة ليكونوا شيئاً آخر ، وليس لديهم لا ناقة ولا جمل ولا (قار) . ولماذا نبكيهم ؟ السنا مثلهم بطريقة ما . . اليست حياتنا النفسية صورة عن حياتهم سواء في صالونات (الستيل) او بيوت التنك ؟ .

مخيمات (المحدثين) النازحين

احساس واحد استولى علي وانا اطوف بالمخيمات هو ان ذلك يجب ان لا يحدث ، يجب تجنبه بأية طريقة ، وبأي ثمن . . .

المخيم مكان لاانساني . والشعب الفلسطيني يعاني فيه من عملية بطيئة هي عملية غسل الدماغ . . . ولن ينقذه منها غير العمل الفدائي . . . .

واذا كان اليهود قد لقوا من غرف الغاز والتعذيب ما لقوه في المانيا الهتلرية ، فان عرب فلسطين يلقون في هذه المخيمات ما هو اقسى من الموت تعذيبا او جوعا : انه تمويت اعصابهم ، انتزاعها من جسد فكرهم ، ومن مقوماتهم كبشر . . .

لقد اعتدنا ان نذهب الى المخيمات ، ونراهم ونشفق عليهم ، ونرضي ضميرنا بتبرع صغير، ثم نمضي في حياتنا اليومية كما لو كنا قد ادينا واجبنا. . . ولكن ذلك يجب ان يتوقف . لم اشعر بالشفقة في المخيمات . شعرت بالذنب والخزي ، لا كعربية ، وانما كانسانة ترقب مسرحية اذلال وتعذيب تجري طوال عشرات السنين وعلى جزء من شعب بأكمله . . .

لقد ضج العالم واحتجت جمعية الرفق بالحيوان على ارسال كلب الى القمر وتعريض حياته للخطر لانه روح حية لا حق للانسان بالتصرف فيها . . .

وتضج جمعيات الحفاظ على الحيوان من اية عملية ابادة لجنس من الاجناس ، وتنظر باستنكار الى ما يجري لفئران التجربة في المخابر . .

هنا شعب بأكمله يعاني من اكبر عملية غسل دماغ في التاريخ . . . يجريها العالم

Akhawia.net

على مرأى ومسمع من الجميع . . . . وحتى من الدول العربية التي لا تعي ذلك بما فيه الكفاية لتحد منه ، او لتؤ يد ايقافها له بالقوة .

مأساة شعب نصفه يعتصم بجبال الضفة الغربية يعيش في المغاور ليتابع المقاومة المسلحة ونصفه الآخر يقذف به الى المخيمات . . .

انا لا اخاف على اللاجئين من الموت جوعا . لم تثر شفقتي عوامل الحر والبرد والبؤ س المرير التي يتعرضون لها . . . وليست دموع اطفالهم هي التي تمزق قلبي . . .

اخاف عليهم من ارغامنا لهم على مد ايديهم لنا عند كل وجبة لتناولهم طعامهم . اخاف عليهم من ذلك الاذلال اليومي . من التساؤ ل كلما ارتدوا ستـرة « ترى لمن كانت ؟ » . . اخاف عليهم من البطالة . من الضياع . من اللاهدف . . .

كل ذلك يجعلهم فريسة ضعف لا حد له . يجعلهم امواتا في الداخل ، اجسادهم توابيت متحركة بين الخيام .

المخيم مدينة رهيبة . انها بلا غد . بلا ارض . بلا ارادة . انها محرومة من حق تقرير المصير . (الثورة المسلحة وحدها يمكن ان تنقذهم وتنقذنا) . .

لم يشهدالعالم ايذاءً وحشياً طيلة تاريخه كاعتداء اليهود في فلسطين .

لا . لا اتحدث عن البيوت التي هدمت . لا ، ولا النساء والاعراض وبقية النغمات التقليدية . . عن شيء آخر اتحدث لم نشهده في غزوات هولاكو ولا شهدته حروبنا مع اوروبا ولا حتى في الحروب القديمة . . . وهو ترحيل الناس من ارضهم بالقوة ، وابادة شعب بأكمله لا عن طريق القتل .

ان ما حدث في مخيمات ١٩٤٨ يجب ان لا يتكرر هذه المرة . . ويجب ان نحول دون غسيل دماغ هذه الوجبة الجديدة من الشعب الفلسطيني الجريح ، ودون تحويلهم الى فرقة (حسب الله) لجمع التبرعات . . . يجب الا نعاملهم على انهم مرضى ، مشلولون ، عاجزون عن الحياة اذا لم نطعمهم والا قتلنا جيلهم الثاني في عصر اهم عناصر الحرب فيه : الزمن .

يجب ان نحاول انقاذهم من الامراض التي نعاني منها جميعاً . . من الافضل لنا ولهم تحويلهم الى فرقة حربية كبيرة قد تحمينا ذات يوم بدلا من ان ننوء بمطالبها . . .

عام ١٩٤٨ جمد اللاجئون بانتظار حل لم يجيء . . .

هذه المرة ، يجب ان نعي هذه الحقيقة ، وان يعيها العالم الذي يغرس ـ دون ان يدري ـ في شعب جديد هو الشعب الفلسطيني بذور حقد ومرارة قد يحصد العالم حصيلتها ذات يوم .

Akhawia.net

عمان ١٢/ ١/ ٦٨

كمال ناصر : عهروا الصخرة . . يا ليتهم نسفوها

. . . والسؤ ال ما يزال ينبض : ماذا بعد ؟ . . .

خارج الخيام في الغور ، على طول نهر الاردن ، الليل عالم غامض من التوتر ، مشحـون بالترقـب والمفاجـأة . . . صمتـه من ذلك النـوع الـذي لا يعرفـه الا سكان الصحراء . . . لا بصيصاً من نور سوى النجوم ، واضواء ابراج المراقبة الاسرائيلية على الضفة الاخرى المحتلة للنهر . . . قناع الصمت يغلف الليل . . .

وفجأة ، سقط القنـاع ، وسمعنـا انفجـاراً كبـيراً وعـدداً من الطلقـات النـارية المتلاحقة ، ثم اضاءت المكان قذيفة من ذلك النوع الكشاف (ايتهـا الارض ، اعمـي عيونهم ، واحمي فدائييك) وهمس مرافقي : من المتوقع ان تشتد غارات الفدائيين في فترة العيد هذه . . . فلنمض . . هل تودين رؤ ية مزيد من المخيمات ؟ . .

أجبت وانا أتأمل الاضواء الكشافة تجوس ضفة النهر بعصبية وجنون : اريد ان اقابل فدائياً ! !

ـ من اين ، من اين نأتيك بفدائي . . . (اضاف ساخراً) ثم انهم ليسوا كالادباء ، وليس هنالك مقهى خاص يلتقون فيه . .

ـ فلنترك السيارة ولنسر الامتار الباقية الى ضفة النهر . . من يدري . . . ربما . . .

ظل المصور الكبير (ابو طلال) صامتا ، ولكن ارتسمت في عينيه صور اطفاله . مرافقي عاطف تحمس . السائق لم يعترض . كان واثقاً ان احدهم سيعترض . .

أصيبت سيارتنا بعطل ! اضطـر « البعض » الى انقاذنـا بسياراتهـم . مكان مليء بالحركة والحياة . سيارات الكتيبة العراقية المرابطة ، وتحركات الجيش الاردنـي . الليل العجيب المليء بالاسرار . الليل العربي الحقيقي ، الذي تختفي فيه الخيام عن العيون وتبدأ النمور غاراتها . . . .

وبعد ساعة ونصف كنت في قاعدة ما ، والفدائي امامي احدثه . مرافقي يرقب ما يدور وهو لا يصدق ان المصادفة يمكن ان تقدم خدماتها لانسان الى هذا الحد .

الفدائي امامي .

Akhawia.net

يؤمن بالقليل الذي يقوله .

السؤال ما زال ينبض : وماذا بعد ؟ . الفدائي يرد . .

« عمري ٢١ سنة . نعم ! تدربت جيداً في مكان ما . آخر مرة نجوت فيها من الموت كانت منذ اسبوعين . ادين بولائي لشعب فلسطين . انتمي الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ما تسألين ؟ هل تساعدنا الجيوش العربية ؟ اننا نتقبل كل مساعدة غير مشروطة ! . . نعم ، اطلقت على النار مجندة اسرائيلية ، وندمت كثيرا لانني لم اقف في وجه ابي يوم منع اختي من متابعة دراستها . كنت صغيرا يومها على اية حال . نعم ، هنالك فدائيات نتعاون معهن ، لا ، لا يتقن اطلاق الرصاص ولكن لهن مهامهن . مثلاً ؟ وضع قنبلة موقوتة في سينما . . الموت ؟ طبعا اخافه . . لكنني لا اخاف شيئاً حينما اتسلل .

مرة وصلت الى داري القديمة في يافا . . شعرت براحة عميقة وانا اتسلل في الليل الى ارضي ، اشعر ان الارض معي وضد الاسرائيلي الذي يحاول اصطيادي ، اعرفها جيداً هذه الارض وافهمها . . اعرف كم يجب ان اضغط بقدمي وانا اتسلق التل كي لا تتحرك الحصى تحتها او يسقط حجر . . . الليل معي وضدهم . . . هم الخائفون لا انا .

نعم . . اؤمن بأن العمل الفدائي هو الخطوة الاولى والاساسية لاستعادة فلسطين . . بعد الهزيمة تفرغت لعملي الفدائي . »

لن نركع

مع خيوط الفجر الاولى كنت اطل على عمان ، وكانت ما تزال تبدو حزينة ولها كآبة جسد يتنفس برئة واحدة بعد ان فقد الرئة الثانية ، الضفة الغربية . . وكنت اشعر انني مثلها . .

وكنت ما ازال اردد « وماذا بعد » ، بدلا من تحية الصباح التقليدية ، حينما وجدتني وجها لوجه امام كمال ناصر .

لم اره قط كما رأيته هذه المرة . . . لا ، ما زال ثائراً وعفوياً ومتحمساً ومتوتراً ، ولكن ، للمرة الاولى ارى في عينيه تلك النظرة المفجوعة المكسورة . . . « تلا عليّ الاسرائيليون امر طردي من بلادي . . كنت احس ان تخاذلنا وجهلنا وتشتتنا كان يتلى عليّ عبر شفتي الاسرائيلي . . . وهكذا غادرت بيتي في بيرزيت . . . امي ؟ مسكينة . . . خلفتها هناك . . رفضت الهرب » . .

من قلب فلسطين العربية المحتلة ، حيث يعتصم الشبان بالجبال من اجل

Akhawia.net

الاستمرار بالمقاومة ، ويتابع الاسرائيليون مختلف عمليات التعسف والتجويع والافقار للتخلص من ابناء الارض ، يجيء كمال ناصر الشاعر العربي وفي كلماته ذاك العنفوان الجريح ما يزال حاراً ومتوهجاً كما كان لدى كل عربي منذ ستة اشهر ، ايام النكبة (بدأ الصدأ يكسو جراحنا ، لا يمكن لمن يعي هزيمته ان يتصرف كما نتصرف حكومات وافراداً) . . كمال يؤمن بما هو اكثر مرارة من ذلك . . يقول : « العالم العربي مطالب باعادة النظر في كل شيء . . يجب ان نتحول جميعاً الى مبشرين » . . .

في كلمات كمال ناصر التي استمعت اليها ، وكلمات الشاعرين « عمر عبدالرحيم » و « تيسير سبول » ما يشبه النبوءة . . كان صوته مكسراً كاصوات العرافين والانبياء . . محزونا حتى الشراسة . . . تابع كمال ناصر :

« يجب ان يتحرك العالم العربي فوراً . الحركات الشعبية يجب ان تفرض ارادتها ، والسلطات يجب ان تعبر عن هذه الارادة . . الناس في الضفة الغربية بحاجة الى المساعدة كي يقووا على الصمود . . وحدهم الآن في المعركة . . . التنظيم ؟ . نحن بحاجة الى عمل سياسي موحد ومنظم . . لقد ذبحوا وعذبوا ، وعهروا الصخرة ، ليتهم نسفوها ، ربما كنا وعينا معنى النكسة . . نعم ، انا قادم من هناك ومتحمس اذ ارى العالم العربي يغرق من جديد في مستنقع اللاوعي بمعنى ما يدور . . المطلوب عمل كبير لانقاذنا من تجربة الاذلال تلك .

من الضروري ان تتوقف هجرة الناس من الضفة الغربية . . يجب ان نوصل الاموال اليهم ، الجائع لن يقوى على الحرب بعد ايام عشرة من التجويع . . نعم ، سأتولى تقديم برنامج موجه الى سكان الضفة الغربية من اذاعة عمان . . اسمعي يا غادة . . عمان مهددة . . وكل شبر في الوطن العربي مهدد . . جو الاسترخاء الموجود لدى الجماهير العربية لا يجوز . . كل ما يدور في العالم العربي يجب ان يتبدل . . التهويد قائم في القدس على كل صعيد (تذكرت نجمة اسرائيل التي مزقها جندي اردني بسكينه عن حقيبة جلدية للاسعافات الاولية حملها احد النازحين معه . . اكتشفنا ان كل انسان هناك مجبر على شراء مثل هذه الحقيبة ، وكلها يحمل رمز « اسرائيل » ! . . .) يتابع كمال ناصر :مطلوب من العالم العربي ان يغضب عمليا . . نعم . اضراب المحامين ما زال قائما ، ولكنهم بدأوا يجوعون . . الوضع هناك شاذ جداً وغير محتمل . . المفجع اننا نتعذب على جبهتين عدوانهم هم ، واخطاؤنا نحن . . انهم يلعبون لعبة الحرب المجرمة بطريقة حضارية رهيبة . . مثلا ، ليس هنالك ضابط يركب سيارة صالون كما عندنا . . التماس

Akhawia.net

الحقيقي قائم بين الضابط وجنوده . . . انهم يعرفون بعضهم بعضا ، موشي ديان ينادونه باسمه . . إساءاتهم منصبة علينا . . لا ، لا امكانية ابدا للتعايش مع « اسرائيل » . . . عقدة الفي سنة تحولت الى عقدة عظمة وخيلاء .

مقاومتنا السلبية مذهلة . . .

الشعب العربي هناك ، انتفض بعد عشرة ايام وبدأ ينظم نفسه ويرفض الاحتلال . . . اننا نواجههم بجميع انواع العصيان الممكنة وعلى كل صعيد : اضراب في المدارس ، اضراب المحامين ، رفض دفع الضرائب ، كل ما يمكن ان يخطر لك من صور الرفض . . . الشعر ، محمود درويش وسميح القاسم وغيرهم . . . مختلف انواع الرفض تتصاعد لتصل الى حد العمل الفدائي . . . يمكن للدول العربية المجاورة ان تكون قاعدة لهذا العمل الكبير ، والمطلوب من العالم العربي ان يرعى هذا الصمود . . حسنا ، اني اؤ من بان التمسك بوحدة الضفتين شعار اساسي ، وقد استطاعت قيادة المقاومة السلبية ان تجهض قيام « الدولة الفلسطينية » لان قيامها بالشكل الهزلي الذي يطرحه اليهود عملية تهويد . . مندوب اشكول قام بعدة اتصالات بالسياسيين وباسلوب قذر ، كالقول : لقد خذلكم العرب ، تعالوا نتفق ! . . . رددناهم جميعاً . . . وهكذا يا غاده رموا بي على الجسر . . المهم الا يكتشفوا البقية كي يستمر العمل . .

الغزوة الاخيرة ابعدت السلام الى الابد . هذا استعمار من نوع جديد ، اقتلاع الانسان من جذوره امر لم يحدث من قبل في التاريخ . . العمل الفدائي اساسي في هذه المرحلة ، ومن الضروري توحيده . . . اكتب ؟ . . . غير مهم . . لقد فقدت الكلمة العربية ، محتواها واصالتها ، ولا يعيد لها شرفها غير المسدس والتوعية » .

وخلفت صديقي كمال ، النائب السابق ، الشاعر ، المواطن الفلسطيني المجبر على النزوح تحت (خيمة) نفسية .

الاعلام الموحد

ملايين الصرخات والاحداث ، من يوصل صوتها الى ضمير العالم (ان كان في غاب الحياة البشرية شيء كهذا) ؟ . .

ولما كانت مهمة السلطات الحاكمة ، تنفيذ رغبات الشعب المحكوم ، لذا سألت سلطات الاعلام عما فعلت بهذا الشأن . . .

وفوجئت بمجموعة من الكراسات الدعائية باللغات الاوروبية واكثرها جيد شكلا ومضمونا ويعبر عن فهم جديد للعقلية الاوروبية . . . الكلام فيها قليل ، والصور

Akhawia.net

كثيرة ، اعدت للاوروبي الذي يقرأ بينما يأكل الساندويتش في المترو ، او قبل النوم بينما هو يبتلع اقراصه المنومة ! . .

كما فوجئت بكتب مطولة للاقلية المثقفة لفت نظري بينها كتاب الاستاذ سامي هداوي (الحصاد المرير ـ فلسطين عام ١٩١٤ ـ ١٩٦٧) وهو باللغة الانكليزية ، ولم تسنح لي الفرصة لقراءته ، ورغم العرف اللاصحفي ، ـ الكتابة عن الكتب حتى قبل قراءتها لطفا ورداً للكرم ـ الا انني سأتريث في الكتابة عنه الى ما بعد قراءته . .)

اكسودس العرب ؟ لا

عن فيلم اعلامي شاهدته هناك اتحدث . اسمه « اكسودس ١٩٦٧ » . هو فيلم ناجح جداً من الناحية الفنية ، وذلك امر يسجل لمخرجه الاستاذ علي صيام .

وهو يتحدث عن الخروج الاخير للنازحين من اراضيهم . . والدمار الاقتصادي الذي حل بشعب الاردن بعد العدوان الاخير . . . والدمار البشري ، وجدري النابالم الذي اكل الوجوه . . . واللقطات في الفيلم جيدة وسريعة ، ومؤثرة بلا افتعال . .

وهو بلا شك اول فيلم في العالم ، يعلق على المشاهد فيه ملك . . . فالتعليق هو بصوت الملك حسين (ذلك امر ناجح من الناحية الدعائية في الخارج) خصوصا ان صوت الملك اذاعي وفيه رجولة حزينة غاضبة ومؤثرة .

ولكن الفيلم لم ينج من ثغرة كبيرة في نظري ، اذ انه يعبر عن وجهة نظر قطرية محلية بالنسبة لمأساة شاملة عربيا هي مأساة فلسطين . والفيلم يتجاوز الاشارة الى ذلك بحسن نية او بسوء نية لا يهم . المهم الا يحدث ذلك . . ثم ان وضع المأساة في اطار محلي جدا وتعتيم موقعها على الخارطة العربية السياسية ككل ، يضعف القضية بوجه عام ، ثم ان وضعها في اطارها العربي الكبير لا ينتقص من جهود الاردن في هذا المجال ونصيبه من المأساة . .

والمتفرج الاوروبي الجاهل بقضايانا قد يخرج من الفيلم وهو يتساءل ببراءة : اذن ما علاقة الجزائر بقضية فلسطين ـ الاردن ؟ . . .

وهذا خطأ اعلامي تقع فيه اكثر دولنا العربية . في الربيع الماضي شاهدت في باريس معرض توت عنخ آمون الذي اقيم في (القصر الصغير) . . . وهو يتحدث عن تاريخ مصر وعظمتها . . ولم يرد اي ذكر لمصر كدولة عربية ، ويومها كنت كعربية افخر بعظمة المتحف حين فوجئت بفرنسية تسألني ببراءة : ما علاقة العرب بالمتحف المصري هذا ؟ . . .

Akhawia.net

اعتقد ان توحيد الاعلام العربي سيساعدنا على تخطي عشرات من الامور المشابهة وعلى الفوز بمردود اكبر لاعلامنا . .

حذار من المفاتيح !

اسر كثيرة من فلسطين حملت معها مفاتيح ابوابها قبل ان تجبر على مغادرتها . . . كلهم علقوا المفاتيح في بيوتهم بانتظار العودة . . .

كذلك فعل العرب يوم غادروا الاندلس . . . ولاننا لا نريد لفلسطين ان تصبح بعد قرون اندلس اخرى .

علينا وبسرعة ان نجد جوابا لـ « وماذا بعد » . . .

هل علي ان اصرخ : الحرب . ما دام شرط الملك حسين : « السلام مع العدالة » غير ممكن التحقيق ؟؟ . .

Akhawia.net

عمان ١٩/ ١/ ٦٨

مـوتى بلا قبـور

وحينما يسقط جسد الليل الثقيل فوق صدر مدينة عمان ، وينفجر من احشائه نهر الكآبة ، يتسرب الى النفس احساس موجع بالضيق والمرارة والحاجة الى الانطلاق . . . ولـكن ، الى اين ؟ . . . دور السينما محـدودة ، والـزيارات العـائلية طقـوس متـكررة ممجوجـة ، والقـدس لم تعـد هنـاك ، لا ، ولا اريحـا ، ولـم تبـق الا شوارع عمان الحزينة . . .

ربما لذلك بالـذات ، سألـت ؛ هل هنـالك مسرح ؟ . . قالـوا : اسـألي هانـي صنوبر . . . لم اكن اجهل هاني صنوبر ، لكنني كنت احاول ان اعرف فيما اذا كان قد نزل الى الحلبة فارس جديد للمسرح . .

ولكن ، (وحتى اشعار آخر) ، يبدو ان هاني صنوبر ما يزال العمـود الفقـري الوحيد للحركة المسرحية في الاردن . . . (باستثناء المسرحيات الحية التي تقدم يوميا في دنيا الفكر والادب والسياسة ، وكلنا في الهم شرق) .

المسرح ،والامية الفكرية

وانا لا اؤ من بان المسرح نوع من الترف الفكري ، ولا اعتقد انه من الكماليات التي لما (نتطور) بما فيه الكفاية لنستحقها ، وانما اؤ من بان المسرح يمكن ان يكون مدرسـة شعبية لتلقين ابجدية الوعي والرقي . واؤ من بالفرق المسرحية الجوالة لا الارستقـراطية وحدها . وذلك ما نحن بامس الحاجة اليه في مرحلتنا الراهنـة . . . والانسـان الواعـي والمثقف يستطيع وحده ان يكون محاربا واعيا وعـالما واعيا وطبيبـا واعيا . . . والشعـب الواعي ، الذي يميز ما يريد ، وبالتالي يعرف كيف ينفذ ما يريد ، ويفرض ما يريد ، هو ما نفتقر اليه . . .

والمسرح من بعض وسائل اعداد الفرد العربي ليكون على مستوى معركته بان يعيها بابعادها كلها قوميا وانسانيا . .

Akhawia.net

لذا بحثت عن هاني صنوبر وفرقته : فرقة وزارة الاعلام الاردنية . . .

في بيت الاشباح .

ذهبت اليهم في مقر الفرقة .

لا ادري لماذا كنت اتخيل دوما ان اية فرقة مسرحية ، لا بد ان يتدرب افرادها في مكان غير عادي ، بطريقة ما . . .

ربما كانت تلك الفكرة المسبقة هي السبب الحقيقي الذي جعلني اصدم ، حينما وصلت الى مقر الفرقة ، ورأيته بناء آخر من تلك الابنية العادية المنتشرة كثيرا في مدننا والتي لا طابع لها . مجرد بناء آخر . ليس جميلا ولا بشعا . عادي حتى إثارة الغضب . تصعد في درج يمكن ان يؤدي الى بيت او عيادة طبيب .

ولكن حينما تصل الى منعطف درج الطبقة الثالثة ، تحس ان شيئا غير عادي يحتل البناء ، اذ على جدار الدرج تطل عليك لوحة ضخمة جدا ربما لا تميز ماذا رسم فيها بالضبط او تنساه بعد حين (كما حدث لي) ، المهم انك تشعر بان شيئا غير عادي يحتل المكان . .

واخيرا باب مفتوح . تلهث تعبا (ربما تلعن السجائر) . تتخطى العتبة . . . تقف مبهورا في الصالة .

صالة واسعة . لوحات تغطي الجدران كمعرض فني . لوحات بعضها دام يهذي . اضواء من النيون . الاثاث ؟ عدد من المقاعد المبعثرة . مجموعة من الشبان وثلاث فتيات . يثرثرون .

يضرب هاني بيده على مسند المقعد . على اظافره تموت اصواتهم . يهمس في اذني : (لا مسرح لدينا . اننا نتمرن هنا . البروفات كلها هنا) .

الوجوه التي كانت الى ما قبل لحظات ضاحكة وتثرثر ، وكنت اشعر بينها بالالفة ، انفصلت عنا تماما ، واستحالت اجساداً لآخرين ، لمجموعة من السجناء المناضلين الذين قرروا عدم الاستسلام او الاعتراف ، ومن حناجرهم ينطلق صوت سارتر في مسرحيته « موتى بلا قبور » . . .

صرخ احدهم « لماذا لا يقول احدكم شيئا ما » . . تدخل هاني صنوبر المخرج وقطع استرسالهم في البروفة قائلا : اطفئوا النيون . انه بشع ، ميت وكئيب . . .

Akhawia.net

بعد لحظات ، مات النيون ، ولم يبق سوى ضوء كشاف ، انساني القسوة والشحوب ، يشبه عينا واحدة بلا اهداب لاله مجهول . . .

بدأت المسرحية . . .

ومع اصواتهم المتكسرة ، المنتحبة ، الرافضة ، الممزقة ، كنت اسمع سارتر يثير عشرات الاسئلة : هل يقاوم الانسان من اجل القضية العامة حقا ام من اجل كرامته الفردية كانسان ؟ الى اي حد تمتزج الكرامة الشخصية بالقضايا الوطنية العامة ؟ التعذيب الجسدي الى اي حد يمزق الفدائي ؟ الا يمزق الجلاد ايضا ؟ من اجل ماذا نكافح ؟ الى اي حد نستطيع ان نقاوم ؟ . . . طفولة الرجل ، أليس فيها الكثير من المواقف البطولية ؟ هل الشجاعة تراها لحظة طفولة فكرية ، والوعي ، الا يقود الى العبث ؟ ام الى مزيد من اليقين ؟ . .

هذه الاسئلة كلها ، تطرحها مجموعة من الرجال وامرأة وصبي ، كلهم سجناء ، ينصتون الى الجنود يعذبون زميلا لهم لينتزعوا اعترافا منه ، وكل منهم ينتظر دوره .

الاسئلة التي طرحتها على المخرج هاني صنوبر في الغرفة المجاورة كانت اقل تعقيدا .

من يهمه ان يعرف بالضبط ماذا كانت اسئلتي ؟ . . . . المهم ما قاله هاني صنوبر . .

(لماذا اخترت هذه المسرحية بالذات ؟ . . لانه ليس بيننا من يعي فعلا معنى العنف والارهاب ، ومن الضروري ان نواجه ذلك . . لو كنا فعلا نعي معنى الحرب ، معناها الدموي الجسدي الموجع ، لما وصلنا الى هذا الحد من الهبوط النفسي ، ولما حصدت حرب التخويف آلافا من الناس الهاربين . . ولما كانت النكسة تنطوي على ذلك العار الكبير . . . اسمعي . . لقد اخترت مسرحية « موتى بلا قبور » المشحونة بالعنف والتمزق الجسدي والفكري لانني اعتقد انه من الضروري في هذه المرحلة بالذات ان نصارح الناس . . إن عليهم ان يتفهموا قضية الحرب والكفاح على الصعيد العملي الحقيقي ، لا على صعيد الشعارات فحسب . . يجب ان يطلع الناس على المعنى الحقيقي للمقاومة ، بكل ما فيها من شرف ومن ايلام . . .

سارتر لديه المقدرة على تخيل العذاب ، ولكن ، الا تعتقدين ان الناس الصامدين في الضفة الغربية يعانون من مزيد من العذاب وان من واجبنا ان نعي ذلك بلا قفازات) . . يتابع هاني صنوبر قائلاً :

Akhawia.net

(شيء آخر وجدته في « موتى بلا قبور » وآمنت بان مواطننا العربي بحاجة الى استيعابه : انه العلاقة بين الفردية وبين المواقف الوطنية . . سارتر يؤمن بالفردية ، لكنها دوما تذوب وتنصهر في الحدث العام ، والآخرين . في « موتى بلا قبور » ترتسم على شاشة انانيتنا صورة التضحية في اعنف حالاتها . . . وذلك ما نفتقر اليه . . . أنا ؟ . . .

خريج مدرسة الالم العربية ، ولكن تصادف انني ايضا احمل الماجستير من كلية الفنون في شيكاغو . . بدأت نشاطي في سوريا . . . قدمت ست مسرحيات للمسرح القومي هناك . . . انا فلسطيني من يافا ، عربي ، لكنني لم اخرج مسرحية عربية واحدة . . . فالكاتب المسرحي العربي لا يضع في اعتباره امكانيات التنفيذ بقدر ما يحاول ان يطرح موقفا فكريا ، وهو غالبا قاصر عن تحويل المواقف الفكرية الى نماذج حية حقيقية تعبر عن هذه المواقف بسلوكها وباحداث المسرحية . . توفيق الحكيم ؟ انا لا استثني توفيق الحكيم من هذا الرأي . . . ان مسرحياته قد تكون جميلة للقراءة ، ولكنها ليست مسرحيات كاملة من حيث الاداء !

قد يدهشك ما سأقوله ، لكن اهم المشكلات التي واجهتها في البداية كانت اجتذاب وجوه نسائية مثقفة ! . . . ان للعقبات الاجتماعية هنا قوة لا تقاوم) . .

(ترجمات) ما قبل الهزيمة

الشاعر عمر عبد الرحيم هو الذي اعاد ترجمة « موتى بلا قبور » . . لماذا هدر الطاقات وقد سبق لادباء كثيرين ترجمتها من قبل ؟ يقول ببساطة : (لأن الترجمات السابقة لم تكن امينة بما فيه الكفاية ،) . .

وبعد .

لا تستطيع ان تدرك مدى اهمية ان يكون للاردن او لاي بلد عربي آخر مسرح الا اذا نقلت اليك نموذجا من اسلوب النقد هناك ومستواه . . وحرفيا . . . كتب احدهم في احدى الصحف عن احدى مسرحيات هاني صنوبر (جو الرواية يستلزم الحشمة ، وأنا اقول لكل جماعتنا الرواد وللسيد هاني ، شعبنا محافظ ، واعطونا دائما هذا الديكور المحافظ حتى ولو استلزم الامر روايات تتطلب هذا الديكور بالذات . صدقوني وجربوا) !! . .

وانا ايضا ، (صدقوني) فقد نقلت النص حرفيا . .

وفي بلاد هذا بعض النقد فيها ، أليس بعض النقاد بحاجة الى مسرح للتثقيف والتوعية قبل الجمهور ؟ . . .

Akhawia.net

عمان ٢١/ ١/ ٦٨

حيَّ على الحرب !

اغمض عيني لارى بوضوح . . . واراها .

عمان ، مدينة الصخر والخيام والحزن .

صباح حزين . صمت . كل شيء صامت متحفز . عيون الرجال . الوجوه . الشوارع . الملاجيء .

اسد أذني لاسمع بوضوح . . . اسمع صوت صفارات الانذار تلعلع هناك . . .

يركض الجميع الى الملاجيء . يتكومون كالثياب العتيقة . النساء والاطفال والقطط والرجال .

في الشوارع تنزلق عربات الاسعاف . يصفر رجال الشرطة . يرهف السجناء السمع .

لكن الطائرات المعادية لا تحوم في سماء عمان ، ولا تبصق النار والحديد والشؤم . . .

انها هذه المرة تجربة لغارة جوية . بروفة على مسرحية الموت . . . تجارب على الغارات الجوية تجري في مدينة عمان . . .

ولكنها اهم من ذلك في نظري . . .

انها ليست بروفة للهرب بقدر ما هي ناقوس تذكير . . . وكما يقف الامام كل صباح ينادي في المصلين « حي على الصلاة » ، تقف صفارات الانذار بين الناس تنادي « حي على الحرب » . . .

وعمان ليست وحدها .

عواصمنا العربية كلها مهددة بالدرجة نفسها . . . وصيحة « حي على الحرب » يجب ان نطلقها جميعا بالدرجة نفسها . . .

واليوم ، وقد نسينا في الشتاء هزيمة الصيف ، وبدأنا نغرق من جديد في وحل مشاكلنا الداخلية ومستنقعات تشتتنا ، ليس كصفارات الانذار ما يوقظ وعينا بالنكبة ويجدد حسنا بالخطر . . . نحن ، اهل كهف التاريخ العربي ، ايقظونا كل صباح في كل مدينة

Akhawia.net

عربية على صفارات الانذار تصيح « حي على الحرب » . . .

كل صباح ، في كل مدينة عربية ، فلتطلق صفارات الانذار لتوقظنا . . .

ذلك كله قد يعيد الى اذهاننا الغائمة واقعنا العربي الحالي : سكان معسكر واحد كبير يمتد من المحيط الى الخليج ويستعد للحرب . . . اسكتوا الاغاني . اسكتوا كل الكلمات المطاطة اللزجة الغائمة المزيفة . وليسد الصمت والعمل طوال النهار .

وصيحة صفارات الانذار كل فجر « حي على الحرب » . . . فلربما حركت داخل رأس كل عربي منا صفارة انذاره المعطلة . . . صفارة الحس بالخطر ، والحس بالمسؤولية . . . .

فحرم على نفسه الاسترخاء الافيوني الذي عاد يبسط غيومه داخل ادمغتنا .

وحي على الحرب ! . . .

Akhawia.net

لندن ٥/ ٣/ ٦٨

من أجل اليكسي ايفانو فيتش : انقذوا الثورة من الأدب الثوري

هل قرأت « يوميات رجل مجنون » للكاتب الروسي « غوغول » ، او شاهدتها تمثل على « مسرح الدوقة » في لندن ، او مسارح برودواي في نيويورك ؟

من الافضل الا تكون قد فعلت ، لانني ساحدثك عنها على أية حال ! . . . سأحدثك عنها ـ

ليس لان أدب غوغول يلقى في الاشهر الاخيرة فترة احياء وتقدير لم يعرفها خلال حياته المعذبة . .

وليس لانها مسرحية هامة جدا من الناحية (التكنيكية) ، اذ ليس فيها خلال فصولها الثلاثة سوى ممثل واحد .

وليس لان هذا الممثل الواحد : نيكول وليامسون فاز بلقب « ممثل العالم في بريطانيا » ، وهو لقب لا يفوز به الممثل الا بعد (تصويت) جميع نقاد المملكة . .

وليس لانه فاز ايضا بجائزة نقاد نيويورك لاحسن ممثل مسرحي حينما عرضت « يوميات رجل مجنون » هناك .

وليس لان سين كونري المعروف باسم جيمس .وند دفع أجره عن فيلمه « وتحيا مرتين فقط » خصيصا لانتاج هذه المسرحية على نفقته . .

وليس لان نقاد لندن المحافظين جن جنونهم مؤخرا ، لان نجم المسرح البريطاني نيكول وليامسون خليفة لورانس اوليفييه ، انحدر الى درك الاشتراك مع جيمس بوند في شركة انتاج ، وربما الظهور معه في فيلم واحد !! . .

وليس لانني قابلت نيكول في لندن (الشاب المثقف الوسيم ابن الخامسة والثلاثين) بعد ان قدمني اليه صديق مشترك هو (جراهام تايار) رئيس القسم الافريقي في الاذاعة البريطانيةقائلا : تستطيعين الكتابة عنه ، وحتى الوقوع في غرامه ، فهو ليس يهوديا مثلي !! . . .

اتحدث عن هذه المسرحية لسبب لا يمت الى الاسباب المهمة الأنفة الذكر

Akhawia.net

بصلة ! . . . ولها علاقة بالبواب العجوز ـ لمسرح الدوقة ، حيث عرضت المسرحية ـ اكثر مما لها علاقة بنيكول وليامسون نفسه ، ولها علاقة باديبنا العربي المعاصر اكثر مما لها علاقة بغوغول نفسه ! . .

فالى حكاية المسرحية أولا . للمسرحية فصول ثلاثة ، وبطل واحد . . نيكول وليامسون يتحدث وحده على المسرح طيلة ساعات ثلاث ، او يصمت . . . لكنه عبر صمته وبوحه ونواحه وحماسه وسقوطه وسكينته ينقلنا الى عالم كامل وعبر نفسه البشرية المعذبة في روسيا القيصرية نطلع على عذابات ملايين النفوس البشرية في اكثر من عصر وعبر اي نظام يفتقر الى العدالة . .

يدور الفصلان الاول والثاني في غرفته والثالث في مستشفى المجانين .

يرفع الستار عن غرفة فقيرة ، ضيقة كالقفص ومعتمة بلا نوافذ . . غرفة موظف بسيط اسمه الكسي ايفانوفيتش . (لا لندن فحسب تضم الملايين من هذا النموذج بل كل مدينة في كل عصر) . يدخل رجل يمكن ان يشبه اي رجل بعد عودته من عمله الروتيني المحكوم به مؤ بدا . . . انه مشعث الشعر ومهمل الهندام ، متعب ووحيد . . . فهو فقير وبلا اصدقاء ، والمفكرة هي الصديق الوحيد المجاني . لذا يسارع الى مذكراته ليكتب ، ليسكب احزانه ، ويحدث نفسه بصوت عال .

يبدأ : ٣ أكتوبر . . يروي احداث يومه هذا وهو يكتبها . . (إشارة الى انقضاء الايام ، كان الممثل يجمد على المسرح لبرهة تخفت الانوار فيها حتى تنطفىء ثم تضيء ، ويستمر كما لوكان قد مضى يوم باكمله) . . . يتابع ٦ اكتوبر . . . ٧ اكتوبر . . . وهكذا نطلع على عالمه الداخلي الموجع . . . عبر ما يخطه في يومياته بينما هو يدمدم ، ندرك انه فقير ، بلا امل ، بلا ضمان ، وتعيس في عمله . صاحب المكتب يعامله بقسوة كما لوكان حيوانا مهملا . . . كان ذلك كله روتينيا موجعاً حتى جاء ما يفجر الازمة : الحب . . . فهو قد شاهد ابنة صاحب المكتب لما جاءت تزور ابآها ، وحينما سقط منديلها من يدها انحنى لالتقاطه وشم رائحة عطرها . . . انها تشبه الكناري ، وهو يحبها . .

الحب جعله يطرح على نفسه آلاف الاسئلة : لماذا أنا مرفوض ؟ . . ومهمل ، وبائس . بعد ذلك ، نلحظ انه بدأ يتحدث بصوت عال الى نفسه . احيانا يثور ، ويصرخ ثم يصمت فجأة حينما يتذكر ان صاحبة الدار قد تسمعه وتطرده من الغرفة اذ انها ستظن انه مجنون . انه غير مجنون ، لكنه بائس امام قوى لا يدري كيف يكافحها . . انه بلا صديق ، لا احد يستمع اليه . لا احد يزوره . الروتين يقتله . عجرفة صاحب

Akhawia.net

المكتب تمزق كبرياءه . انه يتساءل بمرارة : لماذا ؟ لماذا ؟ لا جواب . . لماذا (ماجي) لا تحبه ؟ لا احد يهتم به ؟ ألأنه فقير ؟ . . يقضي الساعات مطوفا حول قصر والدهـا . . يرقبها من بعيد . حينما تراه من خلف النافذة ترخي الستائر . انـه تعيس ووحيد ومهزوم ومنبوذ . . وحينما يكتب مذكراته ، يفجر على المسرح عذابات النفس البشرية المقطوعـة الجسور ، المعزولة في جزيرة الاهمال واللامبالاة والطبقية واللاعدالة . . روسيا القيصرية حيث كل شيء بالوراثة . . . وهو حينما يحب يعي وجوده فجأة ، ويمزقه اشمئزاز الحبيبة منه ، هو بالنسبة اليها ليس اكثر من صيغته الاجتماعية . . . لكن الصيغ الاجتماعية كلها هراء .

وهنا ينتهي الفصل الاول ، ولكن احدا لا يضحك . . . ان عذاباته التي ابـدع غوغول في تصويرها ، تجعلنـا نحس بان انحرافـه الفـكري ليس الا نتيجـة للاوضـاع الاقتصادية والاجتماعية المنحرفة . . انه حصيلة اللاعدالة ، ومجرد دماغ مسكين انـكسر تحت ثقل الضغوط كلها . . . في عصر تصادف انه عصر روسيا القيصرية . . .

ثم فجأة تتخذ هذه التساؤلات شكل تمرد عنيف ، حينما يكتشف ان ماجي تحب شابا ضابطاً من طبقتها !! وانها تتهكم من الموظف الصغير المخبول الذي يعمل في مكتب والدهـا ويمطرهـا بالنظـرات (المرعبـة !) كلما جاءت لزيارة والدهـا . . . تحـب بذلـة الضابط ، ولا تحس بانسانيته هو فثيابه مهترئة . وهنا تنفتح احزانه النفسية قروحا في منطقه السليم . يبدأ التساؤل والنشيج : لماذا يا الهي خلقته ضابطاً وانا فقـير وحقـير هكذا ؟ وتسوء حالته . يزداد هياجه وصراخه في الغرفة وينسى الجيران . ويذهب الى عمله يوما وينقطع اياماً واذا ذهب فانه يكتفي بالتفكير والحزن والمرارة . . . ويتشرد في الطرقات ، يسير ساعات في البرد القارس ثم يعود الى غرفته الفارغة ، ولا يجد سوى مذكراته يخاطبها ويبكي بمرارة . . ونراه نحيلا مغبر الوجه اشعث الشعر كفزاع طيور وعلى رأسه كومة من القش ، ومن وقت الى آخر تدوي صرخاته : « لا أحد معي . لا أحـد . . ولـكن لماذا هو ؟ . . وانا ايضا موجود . لماذا ينظرون الي ولا يرونني ؟ » . . .

لماذا لا يرونه ؟ . . . من هذه النقطة ينطلق جنونه .

اذن لا اهمية لما يقولونه ، عالمهم كله مهترىء وقيمهم واهية وسيخلق لنفسه عالماً خاصاً . . فهم لا يهتمون باكتشاف حقيقته ، ثم إنه عظيم وقوي وقادر على الحب لكن كل ما يرونـه فيه هو الموظف الحقـير . . هذا ما صنعـوه منـه ، امـا هو . . . فهـو ملك اسبانيا !! . . .

Akhawia.net

كيف ؟ لقد اشترى جريدة ، وعاد بها الى غرفته ، وبينما كان يقرأ الاخبار ، قرأ عن الثورة ، وعن هرب ملك اسبانيا . . . نعم ملك اسبانيا مختبىء هنا ، ولكنه انا . . ولا احد يعرف بعد . . . انا ملك اسبانيا المضطهد .

يخرج من غرفته وقد حمل معطفا جديدا كان قد اشتراه مؤخرا ثم يدخل وهو يصرخ : وداعا ايها الغموض . انا ملك اسبانيا . . . وهكذا يأخذ تمرده على المجتمع القيصري المهترىء شكل عقدة العظمة ، فهو لا يحس انه يختلف عنهم او عن اي انسان آخر الا بالصدفة والوراثة . .

اذ نعلم (بينما هو يخط مذكراته بصوت مرتفع) انه ذهب الى المكتب حيث لا يعرف احد انه ملك اسبانيا المختفي في شخصية الموظف المسكين (هو) ، وذهب بناء على الحاح زميل له بعث به المدير لجلبه . . وهناك وقد التفوا جميعا دون ان يدروا انهم في حضرة ملك اسبانيا ، قدم له المدير ورقة طرده ليوقعها ، وانهم جميعا ذهلوا حينما شاهدوا لا مبالاته واستهتاره ، وهنا امسك بالريشة ، ووقع باسمه الحقيقي : ملك اسبانيا ! . كم اسعده ذهولهم ! . وهكذا يعيش في معطفه الممزق بشكل وشاح امبراطوري ، على انه ملك اسبانيا . يصرخ ويهذي وحيدا بانتظار الرسل كي يعود الى ملكه وشعبه . . (الانسان العادي الوحيد منفي ، متى يدركون قيمته الانسانية وتكون له مملكته) .

في الفصل الثالث والاخير ، لا قلم ولا ورق ، ولكن ما الفرق ؟ انه على اية حال يخاطب نفسه : لقد اتى رسل شعبه اليه (ممرضو مستشفى المجانين طبعا) ليحملوه الى قصره . . . ونراه في (مستشفى المجانين) معتقدا بانه في قصره ، مبدياً ذهوله من تقاليدهم العجيبة في استقباله ، ومن غرابة اهل بلاطه ، فقد حلقوا شعره ، وضربوه حينما حاول ان يتمرد ، وحينما حاول ان يدعو بقية ابناء شعبه في البلاط الى الثورة والتمرد وضعوه هنا في السجن الانفرادي . . ترى اية مؤامرة تدور ضده ؟ ولماذا ؟ . . .

نراه الآن وحيدا في زنزانته الانفرادية ، حليق الشعر ، وليس في الغرفة اي اثاث . جدران بيض عالية بلا منفذ ولا كوة أمل يرى منها السماء (رمز لبئر السقوط النفسي) يتحدث وهو ينوح ويهذي ، انه يضرب كل من يقترب منه لأنه خائف وبائس ووحيد . إنه ارنب جريح في قفص الذئاب شبه محتضر.انه يحلم ، بأنه في مركبة ، تطير به المركبة ، وهنالك في قرية حلوة في روسيا يلقى بيته ويرى امه ، اواه كم سيشكو لها ـ كم عذبوه ـ وستغسل رأسه بدموعها ليشفى . . . والحلم الذي تنتهي به المسرحية هو لحظة الراحة والسعادة الوحيدة (وهي ترمز الى حلم غوغول بحل إنساني لملايين البشر الشبيهين

Akhawia.net

ببطله البائس) .

انتهت المسرحية . نيكول ابدع بلا شك طيلة ساعتين ، ويستحق التصفيق المدوي حتى ولو استمر لليوم التالي ، ولموعد العرض التالي ! . .

اتسلل خلف الكواليس لاقابل نيكول . اجلس مع حارس المسرح العجوز ، اتحدث اليه بانتظار ان يزيل نيكول ماكياجه وقناع المطاط الذي جعله يبدو (أقرع) ، ولحظتها ، لم يخطر لي لثانية ان موضوعي سيكون عن الحارس العجوز الطيب المجهول لا عن نيكولاس وليامسون المتربع على قمة المجد والاضواء . .

كنت قد رأيت الحارس الضئيل من قبل (دون ان اراه) ، كملايين الناس الذين دخلوا الى مسرح الدوقة طيلة الاربعين عاماً الماضية التي قضاها هذا الانسان قابعاً في الظلام حارسا للمسرح منذ لحظة افتتاحه وحتى يموت ! . .

سألته عن اسمه . خيل الي انه قال : « الكسي ايفانوفيتش » ، بريطاني ، القرن العشرين ، بواب مسرح الدوقة منذ افتتاحه وحتى أموت طبعا ! . .

وعبر قامته الضئيلة ، وصوته المرتجف ، ووجهه العتيق المحفور بالحزن المستسلم الصامد الذي يطل عادة من وجوه الذين كفوا منذ زمن طويل عن المقاومة والصراع ثم استسلموا . . عبر الكسي ايفانوفيتش حارس مسرح الدوقة رأيت ملايين من الكسي ايفانوفيتش المعاصرين العرب (وغير العرب) ، ورأيت بالتالي عبقرية غوغول وسر اعادة اكتشافه وخلوده .

ولم يضيء وجه « الكسي ايفانوفيتش » مسرح الدوقة ، الا حينما سألته عن رأيه بالمسرحية فقال بحماس دامع : مذهلة . . . مذهلة . . . كأن مؤلفها سرق مذكراتي ! . . .(وهو لا يعرف شيئاً عن المؤلف حتى ولا اسمه . .)

وحتى بعد ان خرج الي نيكول ، وغرقت معه في حديث أدبي عن بيكيت الذي يعرفه معرفة شخصية وتربطه به صداقة وثيقة منذ مثل دور استراغون في « بانتظار جودو » ، ورغم وصفه لقصر بيكيت العجيب اللامعقول هندسة وبناء واسلوب حياة ، والمحرم على الصحفيين الاقتراب من غابته في ضواحي باريس ، ورغم عشرات الاشياء المهمة الأخرى، وعبقرية نيكول وليامسون ونظريته الجديدة: «الممثل يجب ان يكون مثقفاً جداً وبقدر ثقافة الكاتب المسرحي ، كي يكون قادراً على وعي الاحساس بالانسانية في دوره ، واعادة خلقها داخل ذاته » . . . رغم الاشياء الكثيرة المهمة التي قالها ، وشهادة النقاد فيه ، وجدتني افكر بعيداً ، بأشياء اخرى عربية جدا عبر غوغول ، وعبر شهادة

Akhawia.net

حارس المسرح (الذي سرق الكاتب مذكراته !) . . .

بين غوغول ، و« دكتور زيفاجو » باسترناك !

هذه المسرحية بلا ريب ، تلقى رضى دعاة (الادب الموجه) . . . ولو نشرت بالعربية على انها للمفكر الماركسي فلان ، لما جرؤ احد في الشك بيسارية مؤلفها . . . وثوريته .

ويوم شاهدتها للمرة الاولى (واعترف انني لم اكن قد سمعت بمؤلفها رغم ولعي بالأدب الروسي) ، اعجبت بالتزامه الانساني اليساري . . وقررت ان أسأل عنه ، وخيل الي انه بلا شك ينال تكريم السلطات الروسية لما في نتاجه من انسجام مع الروح الشيوعية وتبشير بها . . واعتقدت انه يلقى منها الرعاية التي حرم منها مؤلف الدكتور زيفاجو بسبب موقفه السلبي من الثورة . .

وكانت المفاجأة التي زادتني اعجاباً بالمسرحية وايماناً بعبقرية غوغول : هي أن غوغول عاش قبل الثورة الشيوعية ، وانه لم ينتم الى اية مؤسسة سياسية نضالية ، وانه كتبها قبل الثورة في روسيا ، وقبل ماركس ، وقبل محاولة تحقيق العدالة الانسانية عبر الشيوعية والاشتراكية . وهو لم يكن بحاجة الى توجيه ونظام اعلامي مصفق ليقف ضد الظلم القيصري وغير القيصري ، واي نظام لا يؤمن العدالة للملايين من الابرياء ، ولم يكن بحاجة الى قراءة نظريات ماركس ، ليكتشف الثورة الشيوعية ، وانما كان كأديب مبدع نبوءة للثورة ونذيراً لها صور نبوءته تلك في شكل الرؤيا . . (حلم الكسي في آخر المسرحية بالشمس والضياء ، وعربة تعود به الى قريته وامه وطفولته ، واعتبار حلمه هذا في ذروة لحظات عذابه كنبوءة بولادة الثورة عبر عذاب الملايين أمثاله) . . . أليس ذلك اجمل تصوير انساني لمعنى الثورة تلك من قبل أديب كتب عنها قبل أن تقوم ؟ (مات غوغول قبل قيام الثورة الروسية بحوالي ٦٥ عاماً) . . .

التزام لا الزام

غوغول ، الملتزم عبر وعيه الانساني ، اليساري الروح ، الثائر قبل مولد الثورة ، المحقق لهذا كله عبر عبقريته كأديب ، يعيد الى الاذهان بديهيات نسيها تماماً نقدنا وأدبنا الثوري المعاصر . . . منها مثلاً ضياع الخيط الرفيع الذي يفصل بين رؤيا الفنان المبدع الملتزم بالتالي إنسانيا ، وبين رؤيا المناضل والتزامه العقائدي . . . وفي غوغول الملتزم قبل ان يخترع المناضلون صيغهم للالتزام مثال على حقيقة دور الاديب ومكانته وموقعه من الثورة ، اية ثورة .

Akhawia.net

ادب الكليشيهات

الالتزام اليساري المعافى الاصيل لدى غوغول ، يذكرني ببعض الالتزام المريض لدينا ، وباختلاط مفهوم الالتزام والالزام في اذهان بعض نقادنا وادبائنا العرب المعاصرين .

ذلك مفجع ، لأن الثورة تجديد للحياة وللفكر ، والأدب العربي الذي سقط اكثره فريسة الضحالة في عصور الاستعمار ، وفريسة تسلط الاطر القديمة من سياسية واجتماعية وفكرية ، هذا الادب ، كان من المفروض ان يجد بعثه في الثورات التقدمية التي قامت في انحاء العالم العربي كله . .

فماذا حدث ؟ . . .

ولماذا عجز أي أديب عربي عن خلق الكسي ايفانوفيتش عربي ، وفي البلاد العربية ملايين منه ؟ . . .

هنالك اكثر من عامل ، لكن غوغول يلفت النظر الى عامل جديد اعتقد أنه سيضاف الى قائمة اهم اسباب تخلف ادبنا المعاصر .

هنالك نظرية قديمة تقول : الادب توأم للحياة . . . ومتى انفصل الاديب عن الآخرين وانطوى في برجه العاجي ، انتهى .

وهذا كلام صحيح تبنته الانظمة الثورية التقدمية . « الفن الخالد هو توأم الحياة » ، وسمي ذلك بعد تعميق مفاهيمه و« أنسنتها » بالالتزام .

وكان من الضروري اجراء نقل دم جديد لادباء الابراج العاجية ليعوا اهمية الانفتاح على عالم الآخرين ، وتحسس قضاياهم اي التزام الفنان بانسانيته .

لكن الدواء انقلب سما حينما ساءت طريقة العلاج ، وحين لعب عابرو سبيل الادب دور (الطبيب المداوي) . . وهكذا ، لاكثر من عامل ، استيقظنا فجأة ، لنجد استجابة ضحلة لدى كثير من الكتاب لمفهوم الالتزام والثورية . .

لاحظنا تغييرا في اللغة ، بادخال كليشيهات الثورية والتقدمية ، مع بقاء المضمون الفكري والموقف الانساني من الاحداث على ضحالته ، كل ما هنالك ان (ليلى بنت الاغنياء) صارت (ليلى بنت الفقراء) ، وظلت الحكاية هي نفسها . . والعلاقات الانسانية الرجعية المهلهلة ظلت على حالها مع تبدل بسيط ، هو ان البطل صار يقطع المغازلات التقليدية لبنت الجيران الثورية (العاطلة عن العمل لان حبيبها الثوري يريد ذلك) ! ، لنسمع خطبة من الحبيب الثوري تتضمن مقاطع من آخر بيان وزاري او

Akhawia.net

انقلابي . . وطبعا امتدت استعمالات « قاموس الالفاظ الثورية للروائع الادبية الفورية » الى لغة الشعر ، ولغة الاغاني . .

وعلى صعيد الاغاني كان النتاج مدهشاً لان تاريخ الفن قلما يمر بتراث (هجين) الى هذا الحد . . .

ظلت الموسيقى كما هي - الا فيما ندر - ، وتم ادخال كلمات مثل (الاشتراكية ، العامل ، الفلاح) بمناسبة وبلا مناسبة ، تبرئة لذمة الفن من دنونه (للثورية !) . وظل الاداء واحدا ، والموسيقى واحدة في الغناء عن (شلالات الشعر الحرير) أو (شلالات الفرات واسوان) ! وكأن تبديل عبارة « بنت الجيران » الى عبارة « ماركس اخوان » يحول اغنية الحب المبتذلة الى أغنية ثورية .

وهكذا بدأ يختلط في ذهن جيلنا الادبي الطالع الخيط الرفيع الذي يفصل بين الادب الثوري الحقيقي ، وبين ما يمكن ان ينتجه (توظيفه) لادبه لدى نظام ثوري ما ، مهما كان ايمانه به . .

ونتيجة لتميع المفهوم الحقيقي للادب العظيم ومواصفاته ، وبالتالي معنى حرية الاديب ، فوجئنا بظواهر مفجعة على اكثر من صورة !

وبعد هزيمة ٥ حزيران ، صار الامر لا يطاق . . اذ ليس في العالم العربي من لا يؤمن بأن الثورية هي الدرب الوحيد لتحقيق النصر العربي ، وبأن الفكر العربي كان مسؤ ولا عن الهزيمة الى أبعد حد . . . مما ساعد على الخلط بين (البيان) الثوري (والأدب) الثوري . . .

وصار مجرد طرح المشكلة صعباً لانه يعرض الناقد الذي يريد حماية الأدب الثوري الحق الى الاتهام باللاثورية ! وبالنتيجة نلحظ :

١ - انتشار النتاج الضحل المتستر بالشعارات الاشتراكية التقدمية دون أي وعي حقيقي لمضمونها الانساني الفكري . . . مجرد ترجمة للاسلوب العتيق في التفكير الى لغة سياسية جديدة !

٢ - استغلال اصحاب الحس التجاري للمناسبات الوطنية وجوع الناس لنتاج ثوري . . فكان في سقوط القدس مناسبات لبيع مسرحيات تافهة عن القدس ، واغنيات عن القدس ، وصار في الفدائيين مناسبة لانتاج أناشيد عن الفدائيين وبيع صورهم وتحويل ثكناتهم الى « استديوهات الاغوار » !! متهمين كل من يهاجم ضحالتهم بأنه سلبي وغير ثوري ! . .

Akhawia.net

٣ ـ سوء فهم معنى الثورية لدى الجيل الجديد الطالع ، جعله يمعن اهمالاً واحتقاراً للادب العربي كتراث مع ان الثورية وتحقيق الذات عبر النتاج الثوري لا تلغي الماضي وانما تتفجر من جذوره ، من البديهيات التي يطرحها غوغول كيساري ثائر عبر التزامه الانساني : الأدب العظيم الخالد هو الادب الإنساني ، وانه ليس بالضرورة حصيلة الانظمة اليسارية الثورية فقط . وطالما ساهم الادب في التعجيل بتفجير الثورات واغنائها ، وغوغول ، وعشرات من الخالدين ، هم خالدون لانهم منذ اقدم العصور دافعوا عن المبادىء الانسانية التي طالما قامت الثورات والانظمة باسمها والتي كانت موجة الانظمة اليسارية المختلفة هي آخر تعبير عملي تنظيمي لهذه المحاولات حتى الآن . .

اذن الكاتب الاصيل يخلد لا لأنه يخدم أحد الانظمة (مختاراً او مرغماً) التي تهدف لتحقيق انسانية الانسان ، ولكنه يخلد لأنه هو الذي وعى الحاجة الى التبديل منذ اقدم العصور . . . ولهذا ايضا . . . يتجاوز الفنان في مجال الخلود الحاكم ، واذا كان الزمن قد تجاوز اسلوب نابليون في الحرب ، فانه لم يتجاوز رائعة تشايكوفسكي التي خلد فيها من خلال حرب نابليون مأساة الشعب الروسي ثم انتصاره على الغزو .

اذن ، الادب عظيم وخالد لأنه قد ينطلق من احداث ومواصفات تاريخية محددة ، لكنه ينتقل عبرها لايضاح حقائق ومواقف انسانية خالدة . . .

ولذا نلحظ أن روائع آداب مختلف الشعوب التي خلدت ، من دينية وفرويدية وسارترية وماركسية خلدت بقدر ما فيها من تحقيق لشروط العدالة الانسانية وكشف لحقيقة الانسان .

شكسبير ،ماركسي وعبثي . .

الاديب العربي يتعرض احياناً للتشويه والاضطهاد معاً مع كل تبدل في اوضاعنا السياسية ، لان مفهوم حرية الاديب والحرية الفكرية وماهية الادب واستقلاليته لما تعد بلورته لدينا . . .

. . . وبعد ٥ حزيران صار الاديب العربي واقعاً تحت تأثر عقدة الشعور بالذنب مما جعله مهادنا متأملاً وشبه مذهول واحياناً شبه مزايد على الشعارات الثورية التي يقرنها خطأ بشكل مرضي بالالتزام .

واذا كان شكسبير قد وجد من ينصفه في كل عصر ، ومن يعيد فهمه خلال كل اتجاه ، ويجعل منه اديباً اشتراكياً ، ومن يفسر مصرع روميو وجوليت على انه انتحار تقدمي اشتراكي ضد العشائرية ،واذا كان نقاد الغرب يعون جيداً ان الأدب الانساني ، اي

Akhawia.net

ادب انساني ، هو يساري بقدر ما في اليسار من انسانية ، فان اكثر نقادنا الجدد الثوريين وجدوا في الثورية مبررا قوميا جماهيريا لاعدام ما ليس ثوريا بنظرهم وهذا في رأيي خطأ كبير لا بحق التراث الادبي وانما بحق الثورة . . .

ففي ادبنا كما لدى الشعوب كلها حس انساني يبلغ احيانا درجة الثورية ، وامثلة ثورية واعية واكثر اصالة في ثوريتها من اكثر نتاج ادبنا المعاصر الهجين ، لضيق المجال ألفت النظر الى بعض النماذج القديمة : ابو ذر الغفاري المفكر العربي ، يقول قبل ماركس بعصور : اعجب لمن لا يجد القوت في بيته ، كيف لا يخرج شاهرا سيفه على الناس . .

وعنترة ، تراه كان عاشقاً لعبلة ، ام ان في اصراره على الفوز بها تعبيراً عن رفضه لمنطق (بنت العيلة) ،وتمرداً على الصيغ الاجتماعية المتوارثة ، ومحاولةللتعبير عن قيمته الانسانية بلغة عصره : لغة السيف والحرب والشجاعة . .

والشعراء الصعاليك العرب ، في الجاهلية ، أليسوا في روحهم اكثر اشتراكية من بعض موظفي دعاية الانظمة اليسارية المعاصرة في العالم ؟ . . .

وطرفة بن العبد ، الثائر على النظام القبلي ، أليس في تفجره حس عميق بالافتقار الى المساواة الانسانية في مجتمعه ؟

الثورات السياسية تغني الادب ولا توظفه

ما اود ايضاحه عبر مثال غوغول وغيره من الامثلة هو :

١ ـ الادب الثوري ليس بالضرورة ربيبا لنظام ثوري ما او عميلا له .

٢ ـ الادب الثوري يحرض ويساهم في خلق الثورات السياسية عمليا ، كما ان تبدل الحياة على أثر الثورات يؤثر في الادب من جديد . . وهكذا . . .

٣ ـ العلاقة بين الأدب والانظمة الثورية هي علاقة اخذ وعطاء وتبادل حيوي مستمر كي يغني أحدهما الآخر من اجل الانسانية . . . وليست استغلال احدهما للآخر .

٤ ـ يجب ان يتم ذلك في مناخ صحي من الحرية والاحترام المتبادل .

٥ ـ الالتزام في هذا الاطار ، هو وعي الاديب بالمدلول الانساني الخطير للثورة كحركة تبديل جذرية في النظام وبالتالي في حياة أكثر من مجتمع لاكثر من مرحلة ، ووعيه هذا يقوده حتميا ـ اذا كان مبدعا حقا ـ الى شحذ نظرته الى الوجود وتطويرها وزيادة ابعادها وربما تبديلها . .

المهم ان يحدث ذلك في داخله ، لا ان يرتدي قوالبها على جلد حروفه . .

Akhawia.net

٦ ـ اذن الثورة السياسية تبدل الاديب الحقيقي او تؤكد له مواقفه ، انها تهزه لكنها لا توظفه لديها والا قتلت ابداعه .

فالفن يرتبط بالاصل لا بالعرض (بفتح الراء) ، يرتبط بالغاية (الانسان) وليس عميلاً لاية وسيلة من الوسائل والانظمة التي تحقق الغاية عبرها الا بقدر الالتقاء بين انسانية الادب وانسانية النظام .

انقذوا الثورة من الأدب الثوري

كل المقالات النقدية تدور هذه الايام حول : ماذا (على الاديب) ان يفعل ، وما الشيء الذي (يجب) عليه ان يعبر عنه !؟ . . ولكن احدا لم يتحدث عن حرية الاديب ، والمقالات كلها محشوة بعبارات (الامبريالية ، البورجوازية ، العمال ، الثورة) حتى انها تكاد تجعل من الاديب آلة ذات مواصفات خاصة لتفقيس أدب ثوري ذي مقاييس محددة !

في هذه الحمى من عقدة الشعور بالذنب لدى الكبار ، (واستنسار البغاث) من الصغار ، ورواج تجارة المناسبات الوطنية ، وجعل الثورية الادبية مرادفة للثورية التنظيمية ، يخيل الي انه من الضروري التذكير بهذه الامور كلها .

Akhawia.net

لندن ٤/ ٩/ ٦٨

انتهت متعة الانبهار

لندن التي اعرف جيدا ، والتي احببت كثيرا وما زلت ، هي هذه المرة اداة تعذيب مستمر لا يرحم لانها اداة وعي ومحاسبة للذات . ومسامير تنغرس واحدا بعد الآخر في جسدي العقلي . .

فلندن التي صرت اعرفها جيدا بالمعنى الجغرافي والوصفي ، والتي طالما تلذذت بمتعة الانبهار باكتشافها لم تعد موجودة بالنسبة لي . . لم يتبدل عنصر انبهاري امامها فحسب ، وانما يبدو انني انا ايضا قد تبدلت . . لا اتحدث عن « انا » كفرد منعزل ، وانما اتحدث عن « انا » كفرد عربي ، وكجزء من الانا العربية الكبيرة .

وليست الهزيمة الاخيرة وحدها التي ايقظتنا ، فيقظتنا هي ايضا جزء من يقظة الانسان المقاتل في كل مكان ، وكفاحنا جزء من الكفاح الانساني الكلي افقيا وعموديا (اي في كل عصر وفي كل قطر) . . . وعبر هذه « الانا » كنت احاول ان ارى الاشياء . . . لقد انتهت الأيام التي استمتعت بها في مرحلة الانبهار والاكتشاف . .

لم اعد ارى الاشياء . صرت ارى ما تمثله ، واناقش مدلولها . لم يعد طُعْمُ الجمال شفيعاً لصنارة اللاانسانية . صار كل شيء جميلا في نظري بقدر ما هو عادل انساني .

صار كل ما في لندن يوقظ جرحي كعربية تنتمي الى شعب عظيم يمر بمرحلة تخلف مؤسفة .

كل ما في لندن من جمال ـ فنياً وانسانياً وسلوكياً ـ صارت تشوب استمتاعي به لذعة مرارة ، لان بلادي محرومة من هذا الجمال على ما فيها من مادة خام انسانياً وطبيعياً وتاريخياً .

بل ان (البشاعة) في لندن كانت تؤلمني اقل بكثير مما يؤلمني الجمال . اذ كنت اشعر ان فيها نوعا من لعنة التاريخ : فهي المرض الذي خلفه (العهر الاستعماري) للامبراطورية البريطانية الراحلة في جسد حاضرها . .

واذا لم يكن عدلا ان يضرس الابناء لان آباءهم اكلوا الحصرم ، فمن العدل كل العدل ان يضرس الابناء اذا ايدوا آباء آخرين يأكلون الحصرم ، او تمنوا ـ ولو ضمنا ـ لو

Akhawia.net

استمرت قدرتهم هم ايضا على اكل الحصرم الاستعماري كآبائهم . . وكان عليّ ان افهم الى اي حد هذا صحيح .

وهكذا لم استحم في مياه نيوكاسل المعدنية في شمال الجزيرة الانكليزية لانني جلست افكر بهدوء متحفز وبلا حزن . لماذا لم نعد نستطيع ان نستحم في مياه الحمة المعدنية وكيف تحتلها الآن اسرائيل في ارض بلدي : سورية . .

ولم اشهق امام جمال ماسة من اكبر ماسات العالم واسمها « نجمة الهند » لانني كنت أفكر : ما الذي جاء بها من الهند الى هنا لتكون جوهرة من جواهر التاج ؟ .

ومجاعة الهند اليوم ، ألا يجوع ابناؤها لان آخرين في بريطانيا اصيبوا بالتخمة منذ مئات السنين اذ اكلوا نصيبهم يومذاك !

ولم اصفق للمظاهرات الشابة التي خرجت تؤيد الشعب التشيكوسلوفاكي ، وكفاح الشعب الفييتنامي ، والشعوب المكافحة الاخرى ، كما لم احقد لان اسم فلسطين لم يكن بينها ، وانما جلست احاول ان افهم وأفكر : لماذا . ولم يأسرني نظام المظاهرات وسلوك افرادها المتحضر العريق التهذيب وانما ايقظ في اعماقي مأساة اخرى اسمها مواكبنا ومظاهراتنا وكل ما يدور فيها من مهازل وهتافين بالايجار ومخربين مندسين ومحترفي تأييد . . (نكتة من بلادي عتيقة ولم تعد مضحكة إنما تؤرخ لجيل من محترفي الشغب والاضرابات . قال لنا استاذ علم الحيوان : درسنا اليوم عن « الصرصور » . يعيش الصرصور في . . . فقاطعناه : يعيش يعيش يعيش . . .)

تلك الحادثة الواقعية التي حدثت في الصف وانا تلميذة كانت اول مسرحية من مسرح اللامعقول اشهدها وقبل ان اسمع ببيكيت ويونيسكو . . . ويقولون اننا لسنا بحاجة الى استيراد مسرح اللامعقول ؟! ربما كان ذلك صحيحا اذ اننا اول من يصنعه محليا !

وعلى ذكر المسرح ، كانت عظمته في لندن وانعدامه عندنا من اشد المسامير انغراساً في تربتي العقلية . . وعلى ذكر التربة ، جسد الجزيرة البريطانية يعامل كجسد افرادها . . باحترام . . بتقديس . . . باستغلال لطاقاته . . . بعدل تام . . ان تضاء الانوار في بقعة من الوطن لحفلة ساهرة ماجنة بينما يدرس انسان آخر على ضوء الشمعة في طرف آخر من جسد الوطن حادثة غير موجودة هناك .

مسلة كليوباترة الفرعونية الرائعة المسروقة من مصر والمنصوبة على شاطىء نهر التايمز في اجمل مواقعه ـ بين الوستمينستر وجسر واترلو ـ هذه المسلة حجبت عن عيني جمال

Akhawia.net

المشهد خلفها والنهر الحزين . . وحينما بدأت اقرأ ما كتب على قاعدتها (هدية من الخديوي !!!) . . هدية . . يسمونها هدية . . . استيقظ في نفسي تاريخ من (الثعلبة) البريطانية الامبراطورية ، ومن ثعلبة الحكام العرب وتواطئهم . ولم يوقظني من ألم استغراقي سوى وجه طيب وضاحك لانسان انكليزي مجهول يقول لي بأمانة منقطعة النظير : سيدتي . . هذه النقود سقطت من محفظتك !

انها مجرد حادثة اخرى صغيرة جسدت لي خطأ ردة الفعل التقليدية الحاقدة التي طالما احسسنا بها نحو انكلترا . الامور كلها بحاجة الى مزيد من التعميق ومحاولة الفهم والتطوير وربما التبديل . . .

وان مواجهة اخطائنا الذاتية ومسؤوليتنا اصعب من الحقد الرافض الاعمى . .

وهذه كلها مجرد امثلة عشتها في دقائق . . كلها خواطر لتداعيها سرعة انهيار شلال . . والشلال ظل منهمراً طيلة اسابيع وما يزال وحينما أعود من (اجازتي) سأكون بأمس الحاجة الى اجازة ! . .

بل ان كلمة (اجازة) صارت ملغاة من قاموسنا العربي المعاصر اردنا أم لم نرد . . . ان في اعماق كل منا تاريخاً من المهازل ننساه ما دمنا نعيش في شرنقة جونا اليومي الاليف ، لكنه يتفجر ويستيقظ ويتضح بجلاء حينما نراه على ضوء تجارب الشعوب الاخرى او نرى صورته في اعينها ، او نرى بقايا دمائنا على جدران متاحفها وعلى ساريات اعلامها . . . ونعي تاريخنا في الغياب عن التاريخ ، حين نرى جهلها بنا . . . وتزداد المسؤولية صعوبة حينما نواجه تقصيرنا ونصارح ذواتنا ، بدلا من اسلوبنا التقليدي في التهجم اللاعقلاني على كل ما لا نفهمه وهربنا من مواجهة المشكلة بالنواح والخطابة والوقوف على الاطلال في اسواق عكاظ تاريخنا . . .

تراه القدر رمى بي الى بعيد ، حيث الرؤيا اكثر وضوحا ، والحس بالمسؤولية هو بالتالي اشد شراسة والحاحاً ؟ تراه ادرك ان صدأ التدجين كاد يكسو جرحي ، وان الطحلب كاد ينمو فوق غدير محبرتي ، فأعادني الى هناك لتتم اعادة صلبي ، ولتنكأ المسامير الجديدة موضع المسامير القديمة ؟؟ . . . تراه ارادني ان أتحرر من اسطورة الشعراء عن (الروتين والرتابة) وان أفهم ان لها مرادفاً عصرياً اسمه (النظام ـ الاستمرار) ، وان (ترويض الذات) ليس مرادفا للتدجين الاجتماعي ما دام من اجل العمل الجماعي ، وان « روتين التخلف » عصورا لا يمحوه الا « روتين العمل » عصورا ؟ . لا ادري ، ولن ادري . . .

Akhawia.net

ها أنا في اجازة من تخدير روتين الالفة والعمل ، وحيدة الا من حقيقتي ، الى حيث لا أملك إلا أن أفكر . . وأعرف . . . وأجرب الجحيم الحقيقي الذي تستوعبه بكل ما فيه من هول وعذاب جمجمة صغيرة .

والى لقائي معك يا قارئي لتشاركني طعم المسامير في اسابيع صلبي الطويلة هنا في لندن . . .

Akhawia.net

لندن ٢٠/ ٩/ ٦٨ ليليان بنسون هول . (دار الجامعيات)

فلسطين الحرة

لوحة ، يحملها رجل مجنون ويدور بها في شوارع لندن دون ان يعترض احد طريقه ـ فالقانون يسمح بذلك ـ هذه اللوحة تلخص في نظري كل ما اود ان اكتبه في مقالي هذا .

اللوحة تقول : النهاية باتت قريبة .

. . . كان من العدل ان يدور هذا الرجل بلوحته في العواصم العربية . . فالنهاية باتت قريبة ، (اذا استمر الحال على هذا المنوال !) . . .

قبل ان اكتب عن (اي شيء) هنا في لندن من الطبيعي ان اكتب عن (اهم شيء) من وجهة نظرنا كعرب : فلسطين .

وحينما اقول « فلسطين » ، لا اعني بها ذلك الجزء من الارض العربية الذي تم ـ ويتم ـ استلابه على يدي اسرائيل اعتباراً من ١٩٤٨ ، فحسب ، وانما اعني ايضا كل ارض عربية مهددة بأن تكون فلسطين اخرى . . واعني ايضا المساحات الفكرية والانسانية في ذات كل مواطن عربي يجثم على طاقاته احتلال الجهل الذي خلفه الماضي ، واحتلال حكم حاضر يسلبه ارادته وحريته في اكثر من قطر عربي ـ بحسن نية او بسوء نية ـ ، محولا كل فرد فيه الى « فلسطين » اخرى مصغرة ، انقاذها هو الخطوة الاولى في درب انقاذ فلسطين الكبيرة .

تقريع الذات كالتبجح . . كلام بكلام . .

بعد هزيمة حزيران الاولى (الاولى لانه اذا ظل كل شيء على ما هو فاننا سنضطر الى التأريخ لحزيران ثانية وثالثة . . .) ، اقول بعد الهزيمة انتشرت على صعيد الحكام والافراد على السواء ظاهرة محاسبة الذات والاعتراف بالاخطاء . . . وهي ظاهرة هامة وضرورية لانها الخطوة التي لا مفر منها لافتتاح مرحلة جديدة بناءة في تاريخنا العربي . .

المفجع هو اننا توقفنا عند مرحلة محاسبة الذات والاعتراف بالاخطاء ، ولم ننتقل منها الى المرحلة الاهم : مرحلة التبديل الحقيقي . . .

Akhawia.net

من قال ان الاعتراف هو « المطهر » النهائي لحكامنا امام شعوبهم وامام التاريخ ؟ ومن قال ان الاعتراف بالخطأ يكفي اذا لم تعقبه مرحلة ترميم هذا الخطأ ؟ . .

منذ اكثر من عام ونغمة لا تنتهي تملأ صحفنا وادبنا واذاعاتنا ، نغمة تقريع الذات والندب الصوفي . .

وحتى الآن لم يعقب هذه المرحلة مرحلة تخطيط واقعي ، ومرحلة تنفيذ عملي . . . وصارت نغمة اللطم الذاتي ممجوجة كنغمة التبجح التي سبقتها . . لقد تبدلت نغمة الكلام الرسمي لكنها لم تتجاوز « مرحلة الكلام » بكل ما فيها من بيانات ومذكرات وتبادل للاتهامات . . وصار من الضروري بناء (غرفة اعتراف مقفلة) ملحقة بالدوائر الحاكمة يمارس فيها الرسميون طقوس الاعتراف واللطم لان الشعوب العربية ما تزال تتطلع الى ما بعد هذه المرحلة . . ولان بعض التنظيمات قد تجاوزتها منذ زمن طويل الى مرحلة العمل : كتنظيمات العمل الفدائي مثلا . . .

وفي معرض محاسبة الذات وتقريعها قيل الكثير وكتب الكثير حول اخطاء الدعاية العربية ومسؤ وليتها عن الهزيمة . . وكنا قد توصلنا الى النقاط التالية :

١ ـ الشعوب الاوروبية ليست بأكملها استعمارية لا انسانية ، بدليل تبنيها العادل للقضايا الانسانية في اقطار اخرى ، كتأييدها لكفاح الشعب الفيتنامي ضد الاستعمار الاميركي .

٢ ـ خذلانها لنا ناتج ـ الى حد بعيد ـ عن انعدام دعايتنا العربية ، وعن خطئها اذا وجدت .

٣ ـ خطر الحرب الاقتصادية المنظمة التي تشنها المؤسسات الصهيونية العالمية وانعدام اي جهاز او تنظيم عربي يواجهها رسميا وعمليا ، رغم الامكانيات العربية البترولية واستعداد الاقطار العربية اياً كانت انظمتها للفداء . . .

عند هذه النقاط وقفنا في العام الماضي ، هذا بالاضافة الى توصيات بضرورة المسارعة في العمل . . فما الذي تم في هذا المجال في لندن مثلا ، وهي المركز الاعلامي العالمي الكبير ، وجاليتها العربية من اضخم الجاليات ؟!

ارتجالية ،وفردية ،واستعراضية . . .

صديق مثقف ، ومسؤ ول كبير في احدى السفارات العربية في لندن قال لي يرد على اسئلتي بعد مناقشة صاخبة :

ـ تريدين ان اتحدث اليك بصراحة ، اذن لا تذكري اسمي في مقالك ! (اليس

Akhawia.net

مفجعا ان اي رسمي عربي ما يزال لا يجرؤ على قول الصدق علنا الا اذا ضمن كتمان اسمه ؟ يبدو اننا لم نصل حتى الى مرحلة المصارحة الفعلية) .

قال : « ـ نعم . لم يتم اي شيء في نطاق تنظيم عمل السفارات العربية في لندن ، وتوحيد نشاطها الدعائي . . . ولم يتم اصدار اية نشرة او صحيفة ناطقة باسم العرب . . . في الحقيقة ، ازداد موظفو السفارات نشاطا واحساسا بالمسؤ ولية ، لكنهم ما زالوا يعملون ضمن الاطارات القديمة » .

ولعلي اظلم الرسميين الدبلوماسيين العرب اذا لم اعترف بالجهد غير العادي ، الذي يبذلونه في الآونة الاخيرة في نطاق قضايانا القومية والمصيرية . . لكن هذه الجهود تظلم نفسها بنفسها ، لانها لم تخرج عن نطاق النشاط الفردي والاجتهادات الشخصية . . والصدفة ، والارتجال . . ولم تتحول الى تخطيط منظم واضح يبقى بعد زوال الافراد ويفسح المجال لكل عربي في لندن لمزاولته ، والانسكاب ضمن اطاره . .

مثلا : صحفي بريطاني معروف يدعى مايكل آدمز ، كتب في « الجارديان » مقالا عادلا ذكر فيه حقائق مذهلة عن تصرفات اليهود ازاء السكان العرب في الاراضي المحتلة ، ومحوهم لقرى عربية عن بكرة ابيها واضطهادهم اللاانساني للعرب ، ذلك الاضطهاد الذي ما يزال الشعب الانكليزي يجهله . وبما انه ليس من مصلحة اسرائيل نشر اية حقائق عن قضيتنا ، لذا ثارت ثائرة الشركات اليهودية الصهيونية الثرية لما كتبه مايكل آدمز ، وتمت معاقبة « الجارديان » التي نشرت مقاله وتخويف الصحف الاخرى في الوقت نفسه ، اذ كفت هذه الشركات عن نشر اعلاناتها في « الجارديان » وقطعت عنها موردا اعلانيا ضخما كاد يؤدي الى توقفها . .

وقد اعترف مايكل آدمز بهذا الضغط في برنامج تلفزيوني يدعى (يور ويتنس ـ اي شاهدك) . . كما ايده في الاعتراف بذلك كريستوفر ماهيو عضو البرلمان البريطاني . . . وعلى الاثر تردد في الاوساط العربية الديبلوماسية ضرورة التعويض على الجارديان . . .

وانتهى الامر عند هذا الحد ! . .

(اتخيل عشرات من الاثرياء العرب يشربون الويسكي في « ملهى البلاي بوي » ويقسمون للصور العارية على جدرانه ولراقصاته المضيفات ولموائد القمار بالثأر « للجارديان » ويجدون في الحادث مناسبة للتحدث عن امجادهم الفردية وعن ثرائهم وقدرتهم على التعويض . . . ربما كتب بعضهم قصيدة حول ذلك . . وتم افراغ الشحنة العاطفية) .

Akhawia.net

المهم لم يحدث شيء رغم خطورة المناسبة وافساحها المجال أمام العرب للقيام بردة فعل تخفف من تخويف اليهود المالي لوسائل الاعلام الانكليزية من صحافة وتلفزيون . . . .

لكن ردة الفعل الوحيدة العربية الرسمية ، كانت فردية (سفر برلكيه) . لها طعم الاريحية الشخصية ، ولذا قوبلت بالرفض من قبل العقلية البريطانية التي ترفض الوعود والصدقات وتفضل اقامة علاقات عصرية واضحة منظمة .

فقد تصادف ان كان وزير اعلام المملكة الليبية يقوم بزيارة رسمية للندن وسمع بالحكاية بعد مرور اسابيع عليها . . . وهزته النخوة العربية فامتطى جواده واستل سيفه ، وبدلا من الاتصال بالسفارات العربية الاخرى ، وانشاء مكتب عربي مشترك منبثق عن السفارات العربية يتولى مواجهة مثل هذه الامور بصورة رسمية وعبر اشخاص يفهمون العقلية الغربية ومؤهلين للاحتكاك بها ، نجده اتصل مباشرة بالمسؤ ولين في « الجارديان » للتعويض عليها بنشر اعلانات بمبالغ طائلة جدا .

وكان الرد هو الرفض بإباء وشمم بريطاني ، والاباء البريطاني معناه انهم يفضلون علاقاتهم المنظمة والثابتة مع الشركات الصهيونية على النوبات الاريحية العربية غير المضمونة ماديا على صعيد الاستمرار . . .

والاباء البريطاني هو من انصار (ساقية جارية أفضل من نهر مقطوع) ، ومنطقه يشمئز من قبلية الاجراءات الفردية البطولية واستعراضها لعضلاتها على حسابهم . . (اي التنمير باللهجة اللبنانية) . .

وكانت فرصة اخرى خسرناها رغم كل ما سبق وقيل عن التخطيط والتضامن العربي ، ورغم كل النقود التي انفقت على مؤتمرات الاعلام العربي الموحد . . وظلت الارتجالية او اللاتخطيط الشيء الوحيد الذي يوحد الاعلام العربي .

هذه الفضيحة ليست الوحيدة ، لكنها الاخيرة التي ما تزال اوساط الجالية العربية تتناقلها بخجل . وهي باختصار صورة يمكن تعميمها على حال الاعلام العربي الرسمي ككل ، في مدينة الضباب التي لا ينافس ضبابها الا ضبابيتنا في العمل . . . والجديد الخطير الذي يمكن ان يقال في هذا المجال هو انه لا جديد !

وكما منذ عام ، يصطدم العربي في لندن وهو يشتري صحيفته كل صباح بصحف صهيونية تتصدر (كشك) مبيع المجلات وهي : « الجويش اوبزرفر » ، و « الجويش كرونيكل » . . . وحتى لو هرب من لندن الى اسكوتلندا او ويلز فسيجد صحفا صهيونية

Akhawia.net

اخرى محلية تنتظره مثل « صوت اسرائيل » و « اسرائيل اليوم » .

ورغم انقضاء عام على ترددنا لحقيقة بديهية وهي انه ليس هنالك اي صوت عربي ينطق بوجهة نظرنا هناك ، فان (كشك) باعة الصحف ما يزال مفتقرا الى اية صحيفة انكليزية او غير انكليزية في متناول افراد الشعب تنطق باسمنا ، وتنقل للناس حقيقة ما يدور . . . وتحمل وجهة نظرنا . .

ربما لذلك ، كان اهتمامي كبيراً بالنشرة العربية الصوت الانكليزية اللغة « فلسطين الحرة » والتي شاهدتها بالصدفة مرمية بين الصحف والمجلات في الهوستل الجامعي (ليليان بنسون هول) حيث اقيم .

لم تكن هذه اول مرة ارى فيها هذه الصنحيفة الشهرية ، فقد سبق ان طالعت العدد الاول منها في مكتب « الحوادث » ببيروت . . . . ورحبنا بصدور تلك النشرة يومذاك . .

ولكن ، في لندن بالذات في هذا الجو المصاب بالخرس عربيا ، وبالفصاحة صهيونيا ، يصبح لاي صوت عربي اهميته وقيمته . . واذا كنت قد طالعت العدد الاول في بيروت وسجلت مآخذي على (الميزامباج) و(التحرير) وغير ذلك من التفاصيل ، فان رؤ ية المجلة هنا ، بعد اطلاعنا على مناخ صدورها يجعلنا نتجاوز الهنات في التفاصيل ايا كانت ونقدر مدلول هذا العمل واهميته وضرورة تطويره ، كما يجعلنا نقدر بطولة الذين يصدرونها في جو ارهابي صهيوني لا يتوانى عن استعمال اي اسلوب في سبيل اسكات اي صوت عربي . .

اذكر ايضا انني يوم طالعت العدد الاول من « فلسطين الحرة » في بيروت ، ساءني ان هيئة تحريرها مجهولة ولم يذكر فيها اسم اي مسؤ ول سوى اسم غامض هو « عزيز اليافي » . . وانها بلا عنوان سوى عنوان صندوقها البريدي . .

ولكنني هنا ، وبعد أعوام من امتصاص اجواء هذه المدينة واستيعاب مناخها المسمم صهيونيا ، استطيع ان اخمن ببساطة ان نشر عنوان مكاتب المجلة لن يكون سوى بطاقة دعوة لبرميل من الديناميت يتركه الصهاينة فورا امام بابها . . وان نشر اسم رئيس التحرير يعني رصاصة مجانية ومضمونة تطلق على جمجمته في الظلام . . .

وبعد ، الجديد في النشاط الرسمي العربي هناك هو : ان لا جديد . .

والجدير هو تبلور ظاهرة خطيرة تبلورا نهائيا ـ حتى هناك ـ . . وهذه الظاهرة هي اقتناع الشعوب العربية نهائيا بقصور اجهزتها الحاكمة عن استيعاب مطالبها القومية ، وتخلف

Akhawia.net

تلك الانظمة ، والاجهزة المنبثقة عنها عن التطور والنمو لتواجه الوعـي العربـي الجـديد الراغب في العمل لا في الكلام .

وتصاعد نشاط هذه التجمعات غير الرسمية الفـدائية واثباتهـا لوجودهـا ، هو الـرد الشعبي العربي على الهزيمة باستقلاله في العمل عن اجهزة الحكم القاصرة ، و « فلسطين الحرة » هي من طلائع البديل عن صوفية ردود السفارات العربية وفرديتها . .

Akhawia.net

لندن ٢٧/ ٩/ ٦٨

الهيبيز : ثورة مراهقـــة ضد العقـــل الامبرطـــوري المتصابي

لندن قصر امبراطوري عتيق ، الكبار فيه يعيشون على ذكريات الماضي الذي ذهب ابدا ، وهم رغم فقرهم الحالي يصرون على البقاء في القصر ، وعلى ممارسة تقاليد ذلك الماضي بمظاهره كلها كما لو ان ذلك يعيده الى الحياة ، تماما كالارملة التي يصور لها مرضها النفسي ان زوجها لم يمت وهي تعجز عن تصديق التبدل وتحتفظ بجثمانه .

اما الصغار في القصر ، فقد انفجروا في الاعوام الثمانية الاخيرة مجانين من نوع آخر ، يحطمون الاثاث ، يفتحون النوافذ الصدئة وينثرون زهور الحدائق فوق الاثاث العفن ، ويعبثون ببذلات الكبار العسكرية يرتدونها للحب لا للحرب ويقطعون نياشينها باحتقار ، نافضين الغبار عن كل شيء ، مدمرين في ثورة جنونهم كل ما تصل اليه ايديهم . .

الكل مجنون في القصر . . كل على طريقته . هكذا تبدو لندن للوهلة الاولى ، للاسبوع الاول ، وربما طيلة السنة الاولى ، يراها الغريب مستشفى كبيراً للمجانين مقرها ذلك القصر العتيق الذي ظل مغلق الابواب والنوافذ ومسدل الستائر طيلة قرون بكل ما كان يحويه من اسرار وتاريخ . .

فالجنون اللندني لا يستوطن اقبيتها وازقتها الضيقة الخلفية وعالم ما بعد الثانية صباحا وادمغة بعض الشاذين والمعقدين فقط كما قد يخيل الينا ، وانما هو ظاهرة تجتاح الجزيرة الانكليزية بأكملها . . .

ظاهرة « الجنون » تلك نجدها في سوهو ، شلسي ، وكارنبي ستريت ، وترافلجار سكوير ، وبيكاديللي ، وبقية الاحياء اللندنية الهبية التحشيشية كما نجدها في داوننغ ستريت (مقر رئاسة الوزراة) والبكنغهام ستريت (المنحدر من القصر الملكي) وفليت ستريت (شارع الصحافة) وبقية احياء لندن الوقورة ، ونجدها في برايتون وليفربول (مسقط رأس البيتلز) كما في اية مدينة نائية في بريطانيا مثل نيوكاسل مثلا .

Akhawia.net

ونحن نظلم لندن اذا اعتبرناها وحدها مبدعة هذا الجنون ووكيلة تصديره الى ما وراء البحار ، كل ما في الامر ان شاشة لندن البشرية ، الهائلة البانوراما (٩ ملايين انسان) تعكس بوضوح هذا « الجنون » الذي استولى على الجزيرة البريطانية بأكملها . .

ففي (بلدة) نيوكاسل ـ أون تاين ـ في الشمال البعيدة عن لندن ، حيث ذهبت لقضاء اسبوع (هادىء) بعيدا عن هستيريا لندن ، أملت خيراً وانا ادخل القرية وقرأت لوحة « نورثمبرلند » وانا استعيد كل ما قرأته من اشعار شيللي وتنيسون عن الصفاء والهدوء . . وكان من الصعب ان اصدق ان هذا الصمت الوقور لم يكن الا من نوع الحشمة الانكليزية ، وان ملهى مررت به في احد شوارعها يحمل اسم 69 (وكان برنامجه اسما على مسمى !) منافسا بذلك اقبية ازقة سوهو المزروعة بالجنس .

مجرمون أم عباقرة ؟

هل هذا الجنون لعنة ابتلت الآلهة بها اهل الجزيرة وحدهم كما في الاساطير الاغريقية ؟ ام ان ما نراه بوضوح هناك هو مرض العصر وتمرد انسانه ، وبريطانيا هي السباقة في اوربا للتعبير عنه لاسباب تتعلق بتاريخها وظروفها الخاصة ؟

هل هناك صلة بين جنون الجيل الجديد في بريطانيا ، وبين مظاهر تمرد الجيل الجديد في اكثر من قطر وعلى اكثر من صورة ؟

هل هذا الجنون هو من صنع وتصدير معامل الهيبيز والبيتلز للميني جوب والميني حب والميني تقاليد ؟ هل هم (السبب) ؟

ام ان نجاح اولئك لم يكن الا (نتيجة) ، وصرعاتهم المتمردة التي انتشرت ، ما شاعت الا لانها تجسد عمليا شعورا عاما بالتمرد ؟

بعبارة اخرى ، لو اقدمت الملكة على اعدام البيتلز منذ البداية عام ١٩٦١ ، بدلاً من منحهم الاوسمة عام ١٩٦٦ هل كان ذلك يحول دون انتشار الوباء ؟

ام انها كانت ستجد نفسها امام بيتلز آخرين ، لانهم ليسوا مبدعي الجنون وانما هم الحنجرة والوتر اللذين تفجرت عبرهما صرخات تمرد جيل بأكمله ؟ . . .

هذا هو السؤال الذي طالما تردد منذ بداية الموجة الماريوانية التحشيشية الإسْدّية (من ل . سي . د) الميني اخلاقية . واكثر من غريب وفضولي وصحفي يحاول الاجابة عليه .

بين الالتزام بالحقيقة والالتزام بالتزمت

خلال عامي الاول في لندن ايقنت تماما انني اعيش في مستشفى كبير للمجانين

Akhawia.net

اصحاب الميني عقل والميني اخلاق . .

وخلال عامي الثاني بدأت رؤ يا جديدة للامور تتضح في مخيلتي وتكون خيوط « الحقيقة » ـ من وجهة نظري انا ـ ، او ربما التفسير الاقرب الى الحقيقة (كما اراها) .

وليس حديثي عن (جنون) لندن اللاملتزمة الا بجنونها على صفحات هذه المجلة (الملتزمة) من قبيل التسلية والاثارة ، وانما هو نتيجة « لالتزام » هذه المجلة بالحقيقة ، ولان معرفة ما يدور في تلك الجزيرة وبلا اقنعة تلك المعرفة هي الشرط الاساسي لتقرير مدى امكانية تفهم شعبها لقضايانا وبالتالي مناصرتنا عمليا . ثم مدى جدوى تلك المناصرة . . . . واول خطوة لتحقيق ذلك هي في محاولة رسم صورة جديدة لذلك الشعب . . . جديدة بمعنى انها :

١ ـ صورة متحررة من سيطرة الايحاءات السلبية التاريخية ونفورنا العفوي من شعب الامبراطورية الاستعمارية والرؤ يا التقليدية الناتجة عنها ، والتي يتهم بمقتضاها (باللاوطنية) كل من يجرؤ على ان يقول للناس ان عام ١٩٦٨ ليس عام ١٩٣٨ ، وانه لا مفر من تبديل الصورة العتيقة (ربما الى الاسوأ) . . المهم تقبل فكرة التجديد في افكارنا ، منتصرين على عقدنا التاريخية بحيث نميز بين بريطانيا « الامبراطورية الاستعمارية » (التي عانينا منها ما عانينا والتي تركت بسياستها الاستعمارية ـ وما تزال ـ آثاراً لا تنسى في جسد امتنا وجسد تاريخنا وتاريخ الشعوب المناضلة الاخرى) ان نميز بين بريطانيا هذه ، وبين جيل الشعب البريطاني الطالع وغير المسؤ ول عما كان (الا بقدر مؤ ازرته لاستمرار ما كان) . . .

صورة متحررة من ردة الفعل الاولى التي تصعق العقلية الشرقية وتغمر المراقب الشرقي بالقرف امام كثير من مظاهر الجنون الانكليزي .

قرف يبلغ حد الرفض سلفا والاستنكار ، بل وحتى تحريم اية محاولة لفهم جذوره ومدلوله والغوص الى قاعه . .

وفي عرضي لبعض مظاهر هذا الجنون لن اتقيد بالرفض الشرقي التقليدي وبمفهومه البالي الذي يخلط بين الرغبة في التفسير وبين التبرير ويتهم كل محاولة للتفسير بأنها محاولة للتبرير وبالتالي بأنها قبول ضمني . .

وهذا خطأ اساسي في العقلية العربية من الضروري محاولة تجاوزه بأي ثمن . . .

(توالیت) في موقف الباص

ذلك المشهد الذي كان اول ما وقعت عليه عيني هذا الاحد المشمس ، حينما فتحت

Akhawia.net

نافذتي واطليت على الشارع جعلني ـ عمليا ـ اشهق ، وافرك عيني غير مصدقة . . . انه بلا شك يثير استنكار اي انسان عاقل اوحتى نصف عاقل (للوهلة الاولى على الاقل) . . ولولا الكاميرا التي سجلت بها ذلك المشهد لما صدقت انا في المستقبل انني شاهدته حقا ! .

لم يكن ما صعقني هو مشهد عشرات من الهيبيز الذين انتشروا على الرصيف بشعورهم الطويلة وازهارهم واجراسهم المتدلية من رقابهم والتي تقرع بصخب مواشي مزرعة في شتورا ، ثم يعسكر افرادها على الرصيف منشدين بطرب مع عزف جيتاراتهم .

لا ، ولا ذلك العناق الملتهب لاثنين استندا الى صندوق البريد وامامهما رجل حائر يريد ان يرمي برسالة في الصندوق ولا يدري ما يفعل . . . لا ، ولم يكن ايضا مشهد فتاة ترتدي ثياب القرن الثامن عشر وتبدو وكأنها قفزت للتو هاربة من بين دفتي كتاب تاريخي وبدأت تتجول في الشوارع وفي عينيها تلك النظرة (الافيونية) المذهولة بما تراه حولها . .

ليس لاي من هذه المشاهد كانت دهشتي فقد اعتدت عليها حتى لم تعد تلفت نظري ـ بل ان مشهد رجل يرتدي ربطة عنق او امرأة ترتدي ثيابها كلها هو الذي صار يلفت نظري ـ ! . .

كان المشهد هو (تواليت) .

طبعا لا غريب في مشهد (التواليت) لانه موجود في البيوت كلها وبصر كل انسان يقع عليه باستمرار .

ولكن التواليت انتقل هذه المرة الى الشارع ! . . بالضبط الى رصيف شارع 219 Ladbroke Grove W. 10 وامام موقف الباص الشهير ، رقم ١٥ (الذي كان يستقله « سيدني بواتييه » في فيلم الى سيدي مع حبي) .

ومن اللوحة التي تحمل رقم الباصات التي تمر بهذا الموقف كان يتدلى حبل عقد في آخره ليكون على شكل (سيفون) .

وقبل ان اغسل عيني لاصدق ما اراه حملت الكاميرا وهرولت لالتقط صورة ، ولارقب ما يدور .

جاءت فتاة ، ووقفت تنتظر الباص ببساطة كأنها لا ترى فيما يدور ما يستحق الاهتمام . . . ثم جاء شاب آخر انضم اليها ووقفا معا بسلام ينتظران الباص وربما يتحدثان عن الطقس ! .

ثم مرت سيدة متوسطة العمر تجر طفلها فشتمت المشهد ولكنها لم تستطع حرمان الطفل من الانتفاع بالمناسبة وعلى رؤوس الاشهاد . . طبعا جنون مقرف . هذا هو

Akhawia.net

الانطباع الاول . ثم تقاطر الناس واحدا بعد الآخر ، واصطفوا واحدا بعد الاخر في صف طويل بانتظار قدوم الباص كما هي العادة . . .

(ذلك المشهد الكئيب اللندني التقليدي لمئات من الناس يصطفون واحدا خلف الآخر في الامسيات الكئيبة القارسة او مع الفجر الرمادي الضباب ، يصطفون بوجوه حجرية صامتة ، لا احد يحدث الآخر ، كل يقرأ في جريدته ، او يغرس انظاره في الجدران المكسوة بالهباب ويفكر بأحزانه الصغيرة ، بانتظار دوره ليستقل الباص او المترو او الدخول الى المطعم او عيادة الطبيب . . ويتكرر ذلك كل يوم وعاما اثر عام . . . ذلك المشهد الحزين الذي لا يبدل منه مطر او ثلج او عاصفة ، والذي طالما شاهدته ، وطالما احسست بالوحشة وانا اتأمله ، وبالخوف وانا امارسه ، انفجرت امامه ضاحكة بشماتة ضمنية وانا ارى الناس مصطفين هذه المرة كما لو كانوا بانتظار التواليت كما لو ان الذي وضعه هنا اراد ان يقول لهم ان مشاغلهم التي يركضون اليها ليست اكثر اهمية من هذا ! .)

وهذه المرة ، لم يقرأ احد جريدته ، وكان واضحا انهم جميعا يحسون بالوضع الهزلي في وقفتهم . وربما دفع ذلك ببعضهم الى التفكير : اين الوضع السخيف ، في وجود التواليت ، ام في وقفتهم تلك عاما بعد عام ؟ . .

وبدا الارتباك على وجوه ذوي العمر المتوسط والمسنين والغبطة المتمردة على وجوه الصغار والفتيان وفرقة الهيبيز المعسكرة على الرصيف المتلصصة على ما يدور .

فقد كان المشهد مضحكا ، اذ بدوا جميعا وكأنهم قد اصطفوا بانتظار دورهم لامتطاء (التواليت) لا امتطاء (الباص) !

وتولى كهل آخر ازالة اثار العدوان عن الرصيف بينما كانت فرقة من الهيبيز تنشد له بسخرية مارشات عسكرية على ايقاع جيرك ! .

ثم جاء الباص ، وامتص القافلة وبقي الهيبيز على الرصيف ينشدون .

استعد للتجوال في شوارع لندن ، ومراقبة مزيد من جنونها الذي ينشرونه في الايام المشمسة لا على السطوح فحسب بل وفي الشوارع والساحات العامة وعلى الارصفة ، وكان لا مفر لي من سماع اناشيد فرقة الهيبيز المعسكرة تحت نافذتي المفتوحة . . . وبعد رحيل الباص بأفراد الجيل الماضي ، كفوا عن الغناء المسعور ، واستحال نغم الجيتار عنيفا بأصالة . ثم كانت دهشتي بلا حد حينما انطلق احدهم يغني بصوت حار متوهج وبشعر انكليزي فصيح رائع الصياغة هذه الابيات :

Akhawia.net

« الفن بات محتقرا
والخيال مرفوضا
والحرب تسود الامم !
فهبوا
ايها الفتيان الرجال لهذا العصر الجديد ،
ولتكن جباهكم سداً منيعاً ، ضد المأجورين الجهلة . . .
اذ يرتع المأجورون في معسكراتنا ، وفي بلاطنا ،
وفي جامعاتنا ،
والـذين يريدون ، ـ لو استطاعـوا ـ متابعـة ضغطهـم الفـكري علينـا ، وسائـر ضغوطهم الى الابد .
والذين ـ لو استطاعوا ـ لمدوا عمر حربهم المادية ضد حياتنا الفكرية والروحية الى الابد » .

وكان بقية الهيبيز يرددون معه هذه الابيات كما لو كانت نشيدهم الوطني .

وكنت واثقة من انني سمعت هذه الابيات قبلا وكانت المفاجأة الثانية حينما تأكد لي انها من الشعر الانكليزي الكلاسيكي ، هذا اولا ، وانها للشاعر الكاهن ويليام بليك ، والذي ينتمي الى مدرسة الميتافيزيكل سكول . (ما وراء الطبيعة) الشعرية ، (مدرسة دون وهيريك وهربرت) التي ثارت منذ عشرات السنين على انحطاط الشعـر والاخـلاق والمفـاهيم السائـدة والمجتمـع المتمسـك بتقـاليد تافهـة وكان لثورتهـم صورة ردة دينية مسيحية . . فما هو دين الهيبيز اليوم ، ومن هو إله ثورتهم المجنونة ؟ تلك الحادثة كانت بداية حواري معهم . . ومع كثيرين منهم . . وبعد ان كنت اكتفي بسد انفـي واذنـي (لرائحتهم وصخب موسيقاهم) حينما امر بهم صرت اسألهم تفسيرا لما يدور . . . واعتقد ان بعض ما قيل لي يستحق النشر والتفكير ايضا .

يقول صاحب الاغنية واسمه (المسيح !) ـ على حد اختياره ـ نحن ثائرون على التقاليد العجيبة التي نشأنا ووجدنا انها تكبلنا . . تخطط لنا سلفا اسلوب حياتنا ومكانها وطبقتنا الاجتماعية وبالتالي عالمنا ، وترسم لنا سلفا ما هو من المفروض ان نقوله وان نرتديه وان نأكله وان نعيش بالضبط كما هو مرسوم لنا وان نتصرف بالضبط كما هو متوقع منا . . . ذلك رهيب . . ثم اننا غـير قانعـين بأكداس من العـادات والتقـاليد والاطـر التـي من المفروض ان نتصرف ضمنها .

Akhawia.net

اننا نريد ان نكون . . . وجيلنا قرر ان يسمع صوته للكبار ، وان يريهم مدى بؤسهم الذي يجهلونه لانهم اعتادوه كما اعتادوا شاي بعد الظهر . . وادمنوه حتى صار موشوما على عيونهم وصار من المستحيل التفاهم معهم .

ما علاقة ذلك (بحادثة التواليت) . حسنا . اعترف . نحن دبرناها . . . انهم لا يرون بشاعة حياتهم ، كآبتها ورتابتها . . ولا يرون اصفرارهم الميت خلف صحف الصباح ، بلا ابتسام ولا فرح وازهار . . . وهم يرعبوننا لان هذا المصير ينتظرنا جميعا الا اذا تمردنا . . .

التواليت وحده جعلهم ولو لمرة يشعرون بالارتباك والخجل وبالتالي يلحظون عبر استنكارهم وقفتهم هذه ، ويعون انهم يمارسونها . هذه الحادثة مرآة تعكس لهم ولو للحظة واحدة وضعهم . . . تذكرهم ولو لمرة اين هم مدقوقون ، كالمسامير في صندوق عتيق ، عتيق . مسامير نسيت امجادها كمعدن خام ايام كانت ما تزال جزءا من الطبيعة قبل ان تصبح كذلك . . اعترف لك انها حادثة بشعة وقاسية وساخرة ، لكن الا يستعملون التيار الكهربائي احيانا لايقاظ الذين فقدوا ذاكرتهم ؟ . . . انهم جيل محنط داخل ضمادات تقاليد بالية ، وقد فقدوا ذاكرتهم انسانياً ، ونحن نحاول ان نردها اليهم ، او ننجو بأنفسنا على الاقل !

هذا الكلام يفسر بلا شك هذه الحادثة ، ويلقي الضوء على كثير من سواها . . . لكنني لا اظنه كافياً لتبريرها او لتبرير سواها . . وسواها كثير . . . وكلها يثبت امرا واحدا : هو ان تلك الثورة عامة وشاملة ، وان الجيل الجديد اعلن الحرب وتمرد نهائيا . .

سخرية وطفولة يسارية

وجنون هذه الموجة يتضمن كثيرا من السخرية بجيل الامبراطورية وبقاياها من مؤسسات وأطر اجتماعية ومواقف سياسية .

فقد اعلن الهيبيز مثلا عن اجتماع عام في الهايد بارك في موعد محدد يقومون خلاله باعدام كلب واشعال النار فيه . .

وكان للنبأ اثر هز الجميع ، وتقاطر الى المكان في الموعد المحدد مندوبون عن جمعية الرفق بالحيوان وعدد من متوسطي الاعمار الثائرين ومصوري الصحف ورجال البوليس والفضوليين امثالي .

وجاء الهيبيون بموسيقاهم وورودهم وضحكهم ، وجلسوا في حلقات مرحة يتأملون وجوه الجماهير التي هرعت لتحول دون ميتة كلب . . . وكانت المفاجأة انه لم

Akhawia.net

يكن هنالك كلب ولا ما يحزنون ، وانما رفعوا شعارات تؤ يد نضال الشعوب الحرة وتدعو الى وقف المذابح والحروب وتدهش (لعقل الكبار) الذي تهزه ميتة كلب ولا يفعل شيئا امام ميتة شعب !

وسألهم صحفي : هل انتم ماركسيون ؟ . . .

قالوا : نعم .

أليست الماركسية محاولة لنشر السعادة والفرح في العالم ؟ هذا ما نسعى اليه ايضا .

وقال : تسعون اليه بالمخدرات والموسيقى والورود واللاعنف النظري . . ماذا تفعلون لو هوجمتم مثلا . . اعني ان اقول لك ان الدبابة ليست دوما ضد الوردة . . انها احيانا اداة لحماية الوردة . . وضرورة .

ولم يناقش مثل كثيرين سواه الهيبيز . والحوار السياسي معهم يكشف ان موقفهم السياسي مراهق ويفتقر الى الاطلاع الفكري . . وان يسارية اكثرهم وعيا لم تتعد مرحلة الطفولة اليسارية التي تحدث عنها لينين في كتبه .

رفض للقيم السائدة كلها

وهكذا يعبث ابناء (الامبراطورية) بالميراث العتيق المهترىء . التمدد والعناق في الحدائق العامة صار مشهدا لا يثير الانتباه ! (الدراج ستور) الجديد الذي فتح ابوابه في شلسي جدرانه وسقفه من المرايا ، وارضه ايضا ! .

في الكارنابي ستريت حيث البائعات يرقصن باستمرار والموسيقى تملأ المكان ، هبطت وصديقة ترافقني الى الميني كافيتريا الملحقة عادة بهذه الدكاكين العجيبة ، وطلبت من مرافقتي ان تجلس الى الطاولة الاقل زحاما قرب الفتاة الشقراء هناك ريثما احضر القهوة . . وعدت بالقهوة ، وقلت للفتاة وانا استأذنها للدخول الى موضعي من المقعد : عفوا يا آنسة . .

وحينما التفتت الي الآنسة وجدتها شابا ! .

وبعد قليل جاء شاب آخر انثوي الشعر جلس الى جانبي وفي فمه مصاصة اطفال يرضعها بشراهة ! .

وتذكرت التفسير الذي اورده توفيق الحكيم عن هذه الموجة حين قال : « جنوح شباب العالم اليوم الى ارتداء الملابس الزاهية واطلاق شعورهم الطويلة ليس تحللا او انحرافا انما هو ارتداد لعصور سابقة كانت اجمل واكثر سلاما » . ويقول : ان اطلاق الرجال لشعورهم او وضع باروكات شقراء وسمراء على رؤ وسهم ، وارتداء ملابس

Akhawia.net

مزركشة من الدانتيلا الرقيقة مما كان يقرب الفوارق بين مظهر الرجال ومظهر النساء كان هو الزي والسلوك المعترف به بين الرجال الممتازين في ذلك العصر وحتى بداية القرن التاسع عشر ! » .

ورغم قناعتي فكريا برأي الاستاذ توفيق الحكيم ورغم ان شعر نابليون كان طويلا ، الا ان منظر (المصاصة) مع الشعر الطويل كان يخلق ايحاءات اخرى بعيدة عن الرجولة وحتى عن الانوثة ايضا .

روميو وجولييت

وثورة تحطيم القوالب كلها امتدت حتى الى الأحذية . . . وصار مشهد الحفاة مألوفا . .

ويبدو ان بعض العشاق هناك قد سئموا العناق ، وابتكروا اسلوبا جديدا للتعبير عن الحب . . اذ تربط الفتاة قدمها اليمنى الى قدم حبيبها اليسرى ليكون منها ساقا واحدة يستعملانها معا في وقت واحد ، وبذلك يمشيان كما يقفز حامل العكاز على قدم واحد . . كأن كلاً منهما عكاز للآخر ، او كأنهما كائن واحد جديد بثلاثة قوائم فقط !

مايوه أم فستان . . .

في نادي الريفوليوشن (اي الثورة) بحي الماي فير الراقي فوجئت بدخول مجموعة من السكرتيرات بالبيكيني : اي بثوب مختزل جدا . .

وسمعت احد رجال الاعمال الوقورين يغازل احداهن بقوله : ثوبك جميل يا عزيزتي ! انت ماهرة في الاختزال في كل مجال ! .

هيبيز من القطط والكلام

ولما كان الكلاب والقطط من اهم سكان لندن ، كان لا بد للعدوى من ان تسري اليهم . . واطرف كلب هيبي شاهدته كان يرتدي احذية حمراء وقد زين رأسه بريش ديك فبدا حيوانا غريبا جعل قطة سيامية تطاره وتكشر عن انيابها غيظا . . وانسجاما مع منطق الاحداث هناك ، هرب الكلب من القطة مذعورا ! .

دينهم التخدير ، وضد الاديان

والهيبيز لا يؤمنون باله الا بالحشيش والماريوانا ورب الارباب جوبيتر المخدرات الـ « ال . اس . دي » .

وهم ينتهزون كل مناسبة للسخرية من الاديان السماوية ، واكثرهم لا يعرف عنها شيئا سوى ان امه كانت ترغمه على الذهاب الى الكنيسة .

واذا كان اللورد بروكواي الاب والنائب ما يزال يحافظ على المظاهر ولا ينسى شاي

Akhawia.net

بعد الظهر وشمسيته وقميصه المنشى ، فان ابنه كريستوفر فينر بروكواي لم يكتف باطالة لحيته وشعره وانما مارس هيبيته مستعينا ببقية العدة : مخدرات الكانابيز .

وقدم الى المحكمة لهذه التهمة وحينما سئل عن اسمه قال : ويليام شكسبير !

وحينما طلبوا منه اداء القسم على الانجيل رفض ، واعلن اسلامه ، واصر على القسم على القرآن ، وقال انه لا يرى مبرراً لان يكون مسيحيا بالوراثة ولمجرد ان والده مسيحي ، وحينما حاولوا ارغامه على تشذيب لحيته التي بلغت كتفيه قال انه لن يفعل ذلك الا بعد ان يؤدي طقوس الحج الى مكة ! . الاب اللورد وابنه يمثلان جيلين تفصل بينهما هوة مرعبة ، فهل من سبيل لمد جسر بينهما ؟ . . .

ـ الحادثة عن جريدة الايفننج نيوز ـ ٩ آب (اغسطس) .

صحافة الهيبيز

وهكذا صار للهيبيز عالمهم وموسيقاهم وثيابهم وحتى صحفهم الخاصة التي تختلف تماما من حيث اللهجة والمضمون والمنطلقات الاساسية .

وصحفهم تمثلهم ابتداء من العنوان وانتهاء بالغلاف . . . اشهرها مثلا تدعى (ات ـ اي الضمير الغائب للشيء) واخرى (اوز) . وعلى الغلاف الاخير لـ (ات) اعلان على طريقة مطلوب حيا او ميتا . .

والغلاف يقول :

مكافأة لكل من يقدم معلومات تؤدي الى فهم المواطن يسوع المسيح . . .

وتلقي بعض الضوء على التهم الموجهة اليه وبينها العصيان الاجرامي والتآمر على السلطات والافكار السائدة .

صفاته : رث المظهر يقال انه يعمل نجاراً . يبدو مصابا بسوء التغذية . الكفار يعتقدون انه يهودي .

محترف اثارة .

لحيته حمراء .

العلامات الفارقة : آثار في يديه وقدميه خلفها اذى سببه له بعض الموظفين الرسميين والمسؤولين الشرعيين .

وقال لي احد محرريها ان المقصود من الغلاف هو تذكير الناس بأن السيد المسيح كان في عيون ابناء عصره (هيبي!) مثلهم . .

ابتذال

هذه المجلة التي لا تخلو من بعض المقالات الذكية الفكرية يبلغ اسفافها في

Akhawia.net

الصفحات الاخرى حداً لا يمكن وصفه ، ويستحيل نشره . . .

وهذه المجلات تزخر بالاعلانات عن (نوادي) اللذة وكثيرا ما تتخذ رموزا من الآلهة الهندية تعقبها هذه العبارة : هل تريد مزيدا من الاستمتاع بحياتك ؟ اتصل اذن بـ . . . والعناوين متوافرة، ومن حسن الحظ ان الغرباء لا يعرفون شيئا عن هذه المجلات ولا يتقدمون لشرائها لان اغلفتها لا تعكس بوهيميتها الجسدية بقدر ما تعكس بوهيميتها الفكرية والروحية . . .

وبعد،هذه الجولة الهبية اختمها بالعبارة العربية الكلاسيكية : هذا غيض من فيض . . .

فالاحداث والشواهد اكثر من ان تحصى . . . ومن الصعب ان تمر بقاعدة تمثال ولا تجد فتاة منتصبة عليه في دور تمثال . . ومن الصعب ان تمر بك سيارة من سياراتهم لا تحمل عبارة ساخرة ما . . ومن الصعب ان تقف لشراء بطاقة بريدية تحمل مشاهد لندن كما تلتقطها عدسة الكاميرا دون ان ترى الى جانبها البطاقات البريدية الهيبية التي تصور لندن عبر عدسة الرؤ يا الهيبية لها . . ويا لها من صور ! . . اكثرها رصانة يحمل عبارة ، « حللوا كل شيء محرم » ! .

الشمس ام الدمار

الثورة على العقلية البريطانية التقليدية الفضفاضة جدا بالنسبة لجسد واقعها ، هذه الثورة قد تكون عادلة . بل وضرورية . . . وهي التي جسدتها ابيات الشاعر الكاهن القديم ويليام بليك . .

فمن حيث المبدأ ، يجسد الجيل الجديد :

١ ـ ردة بريطانية على استمرار تقاليد (البلاط) واطاراته وثورة على التحجر .

٢ ـ ردة على آلية العصر هي من بعض الردة العالمية التي تجتاح اكثر من قطر .

وثورتهم مزيج متكامل من هذين العنصرين ، تغذيها طبعا حرارة المراهقة وحماسها وسذاجتها ايضا .

ولكن وسائل هذه الثورة واساليب التعبير عنها ما تزال دون القضية التي يدعون الدفاع عنها . . اي ان ثوب اساليبهم يكاد لا يكسو الجسد الضخم لقضيتهم . .

انهم اقزام في دفاعهم عن القضية العملاقة التي يدعون انهم يحملون لواءها . ان (الميني احترام) للمؤسسات والقيم السائدة لم يعبروا عنه بأكثر من الميني جوب والميني حب . .

Akhawia.net

لكنهم رغم هذا الضياع ما زالوا يحملون بذور رقي انساني وحس اصيل بالديمقراطية والحرية وغيرها مما يوحي بأن هذه الحمى المسعورة يمكن ان تكون من نوع مقاومة الجسد للمرض ، وان استعمال الدواء المناسب قد يشفي ويزيدهم مناعة وقوة وعمقا .

ورغم كل شيء يظل الهيبيز ينشدون وينثرون الازهار والمحبة ويحاولون تجسيد هذا الاتجاه في صور فنية موسيقية وادبية وكانت ابرز هذه المحاولات هي محاولة البيتلز في فيلمهم الاخير الجديد العجيب : « الغواصة الصفراء » . . . وهم في هذا الفيلم يصورون الحرب القائمة ويحاولون مد الجسر بين الطرفين .

ولكن ، الى اين تتجه الغواصة الصفراء بملايينها : الى الدمار في قاع الغيبوبة ام إلى الشمس والدنيا المعافاة من جديد ؟ .

Akhawia.net